

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

### **فريق التحرير** المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير Gaia Athiest

#### أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver Yonan Martotte Johnny Adams الغراب الحكيم A Koder Alia'a Damascéne غیث جابری Romario Gamal Ali Alnajafi Teky Mikky ليث رواندي أسامة البنى (الوراق) إيهاب فؤاد Abdu Alsafrani شادى سليمى عبدالله السعيد Raghed Rustom Hisham AbdulGhafoor

#### ARAB ATHEIST BROADCASTING ((1)) قناة الملحدين بالعربي



خاصةً إذا جائه من باب أن له الأحقية بفرض هذا الأمر عليه، تعلموا أن تقولوا كلمة "لا" فهي جملة كاملة متكاملة.

دمتم أحرارًا مسؤولين..

Gaia Athiest

#### كلمة تحرير المجلة

لعل من أهم القضايا التي تثار حول الملحدين هي القضايا التي تتعلق بالحريات الشخصية، فنجد المجتمع يهاجمهم بحجة أن ترك الدين يتبعه ترك الأخلاق!

حسنًا الإلحاد ليس أسلوب حياة، وليس له أيديولوجية معينة فكرية أو سياسية الخ الخ،، وليس له مُنظِّرين يحددّون للملحدين غط حياتهم، فالإلحاد ليس دين، الدين هو الذي يتحكم بكل مناحي الحياة ويتدخل بها، بينما الإلحاد ليس إلا فكرة عدم الإيمان بإله ودين.

والأخلاق والأعراف المجتمعية ليست بالضرورة مرتبطة بالدين، فهي موجودة قبل الأديان، هي وسيلة المجتمعات لتنظيم أنفسها وسنِّ قوانينها لا أكثر، فأخلاق الشخص ومبادئه ليست مرتبطة بكونه ملحدًا أو مؤمنًا، بل تنبع من ضميره وأفكاره الخاصة، لذلك فإن ترك الدين لا يتبعه بالضرورة التخلى عن الأخلاق والأعراف المجتمعية، والتغيير ليس بالضرورة أن يحوّلك لشخص متفتح رغمًا عنك، فمثلًا لم تكن تشرب الكحوليات وأنت مؤمن وليس بسبب الدين بل لأنك لا تريد ذلك، وبعد إلحادك استمريت بعدم الرغبة بشرب الكحوليات، هذه حريتك ومبادئك التي تضعها أنت لنفسك، ولا أحد له علاقة بك، وينطبق ذلك على بقية مناحي الحياة الأخرى من ملبس ومأكل ومشرب وتعاملات، فالإلحاد ليس له كتاب مقدس يفرض عليك إن أصبحت ملحدًا أن تشرب الكحول، أو تنعدم عندك الغيرة على زوجتك، أو أن تمشى عريانًا في الشارع!

وهناك بعض الملحدين يقعون في خطأ اعتقادهم أن ترك الدين يتبعه التخلى عن كل ما يقوله الدين حتى لو كان شيئًا متعلقًا بالحياة اليومية والممارسات البشرية العادية، فتجده يفاخر بشرب الكحول أو ممارسة الجنس دون زواج وكأنه حقق إنجازًا عظيمًا، رغم أن المؤمنين منهم الكثير يشربون الكحول ويارسون الجنس دون زواج أيضًا!!

طبعًا لكل شخص الحرية في ممارسة حياته بالطريقة التي يريدها، ولكن الحرية تأتى معها المسؤولية فلايوجد شيء اسمه حرية مطلقة، كل المجتمعات محكومة بقوانين تنظمها، فأنت حر مالم تضر..

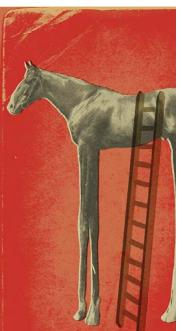
وكما يحترم الآخرون حريتك ولا يحشرون أنفسهم في خصوصياتك، عليك بالمقابل أن تحترم حريتهم الشخصية ولا تحشر نفسك في خصوصياتهم. لذلك الكل سواءً ملحدين أو مؤمنين، ليمارسوا حياتهم على طبيعتهم، ولا يسمحوا لأحد أن يفرض عليهم شيئًا سواءًا باسم الدين أو باسم الإلحاد، فالانسان بطبعه ينفر ممن يريد أن يفرض عليه شيئًا معينًا













### الفهرس

لمة تحرير المجلة	2
فهرس	3
علمانية كمخرجٍ للثورات العربية . عبد العزيز القناعي	4
بدم أسطورة دين العفة (3): الإسلام والزواج Moussa Eightyz	8
حلة الرافدين: نهوض سومر الأخير صعود بابل Mohammed Walee	27
ندما نهجر ديننا ليلك لمستقبلٍ بلا آلهة (ترجمة) Graham Lawto	42
راءة في كتاب: أسطورة سيسيفوس للكاتب بير كامو بقلم: Usama Al-Binni	58
إله الأخيريترجّل!!! لائر حر	76
يرة محمد بن آمنة رجمة عن منشورات شارلي إيبدو	81
واية سقوط الإله Noha Selen	90
اریکاتور	99

## العلمانية كمخرج للثورات العربية

د عبد العزيز القناعي



تعيش مجتمعاتنا العربية وبعد مرور الربيع العربي، وما تركه من فوضًى سياسية واجتماعية واقتصادية فيها، في ضياع تاريخيً جديد وانسداد حضاريً إنساني، جعل من الشعوب العربية عالقةً في تحديد أُطر تعاملها، سواءً مع الأنظمة العربية أو مع بعضها البعض. وهنا علينا أن نتوقف لحظات لتدارس أوجه الفشل في تحقيق الانتقال السلمي إلى الديمقراطية التي كانت حلم الشعوب العربية وتطلّعها إلى بناء أنظمة عربية بديلة عن نظم الاستبداد والقمع القائمة. فبعد قيام الثورات العربية، لابد لنا أن نعرف مواطن الخلل في العقل العربي حتى نستطيع أن نجزم تقريبًا بأن الحل هو ذاك أو ذاك.

تاريخيًا، كانت الشعوب العربية مقيمةً وراكدةً في أزمةٍ حضاريةٍ منذ القرن الخامس عشر، بل ويجزم المؤرخون أن الحضارة العربية الإسلامية قد توقفت عن الإبداع مع حلول القرن الثاني عشر مع توقف الاجتهاد وفرض النقل

على العقل. فهل من المعقول أن نتمادى في ردّ التخلف الثقافي والعلمي والاقتصادي إلى الغرب أو مؤامرة اليهود والنصارى؟ ألا يسبق دامًا الانحطاط والسكون في المجتمع كي تصبح تلك المجتمعات مستعمَرةً؟ ألم تكن معظم المجتمعات العربية في حالةٍ يرثى لها من الوهن في بداية القرن التاسع عشر؟

هنا، علينا في البداية أن نعترف بقسوة تخلّفنا وتردي سلوكنا ومفاهيمنا وقيمنا عن اللحاق بالحضارة والعلم والإنسانية. فالخطاب العربي لا يجد الكثير من الخيارات فهو يفتقد الوعي اللازم لفهم مرحلته وكذلك لوضع الأهداف لتصحيح المسار؛

فلا يجد العقل العربي، بعد فشل حاضره وتفوّق إسرائيل والغرب، إلا أن يرتد إلى الوراء أكثر فأكثر، ولا يدرك أنه في النهاية لن يجد خلفه إلا الجدار، جدار الجاهلية والتخلف



والبدائية، وهو ما وقع فيه بالفعل، دون أن يشعر بأن الحداثة التي يدّعيها ماهي إلا (ديكور) سرعان ما يهترئ مع شدة الأفكار والفلسفات التحررية.

وأمام هذا التراجع اختار العقل العربي خطاب الدين والطائفة والمذهب لتنقسم الشعوب على نفسها كل مرة؟

بل ونتج من هذا الانقسام أعداءٌ جددٌ وحروبٌ جديدةٌ طالت مجتمعاتنا اليوم

بشكلٍ أكثر دمويةً ووحشيةً حين تم استغلال الدين سياسيًا، فخرجت الطائفية والمذهبية لتشكل هوية الشعوب العربية وتقام من أجلها الحروب، وهو ما نشاهده حاليًا من تحول مجتمعاتنا إلى صراعاتٍ على الهوية المذهبية، إن كان في العراق أو سوريا أو اليمن أو ليبيا، والحبل على الجرّار.

وفي المستقبل المنظور لا يبدو هناك أي أملٍ أو تفاؤلٍ عكن أن ننطلق منه لبناء مجتمعاتٍ حديثة. فالصيرورة التاريخية الطبيعية تشير إلى أن تشكيل الدول الحديثة لا يكون إلا بعد مواجهاتٍ وصداماتٍ يتمخض عنها وعيُّ جديدٌ مختلف، وهذا هو ما أراهن عليه في أيامنا هذه بعد وصولنا إلى دواماتٍ من القتل والذبح والكراهية على أسسٍ دينيةٍ ومذهبية، وهو نفس المخاض التي مرت به الشعوب الغربية إبان ثوراتها ضد الكنسية والهيمنة الدينية.

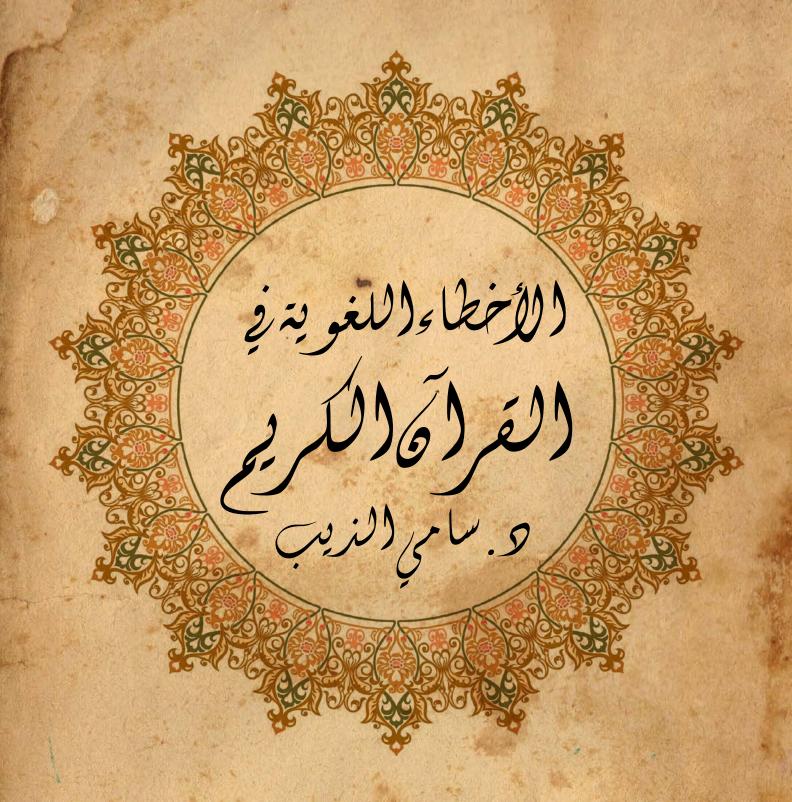
إن التحرّر من الوثوقيات الدوغمائية هو المنطلق الأول لأن يكون العقل العربي حرًّا من القيود، فلن نستطيع بناء ثقافة جديدة دون أن نلغي الثقافة الدينية المتطرفة من التعامل مع المستجدات التاريخية، وتحييدها عن التعليم لما تمارسه من غرس لتابوات القداسة والجمود والتشرنق المذهبي. فإذا كانت شروط النهضة تحتاج لبدايات معرفية وفلسفية، فإن تحصيلها لا يكون بتأثيمها وتحريهها، بل بتعليمها وتعلمها، بالنقد، بالتفكير، بالمحاولة الفلسفية. وهذه التربية الفكرية الجديدة هي التي تُعلِّمنا من جديد النظر والفكر، القراءة والكتابة، الحياة والموت، وهنا تتضح رهانات التقدم باعتبارها أمل المستقبل.

ولعل العلمانية في رؤيتها الشمولية للإنسان والمجتمع هي الخلاص الحقيقي لمخاض المجتمعات العربية بعد فشل التيارات الإسلامية في تنفيذ وتحقيق جنّتها على الأرض، فلم يسفر الخطاب الإسلامي الموروث إلا عن تزايد الحروب وتفريخ تيارات الجهاد والعنف. ولمّا كان غرض العلمانية هو تكوين إنسانٍ حرِّ قادرٍ على الاختيار واتخاذ القرار دون تسلطٍ ولا إكراه، بل استنادًا إلى العقل النقدي، فان الفكر الديني التقليدي من جهةٍ أخرى هو الذي أصّل مفاهيم الطاعة والخضوع والاستسلام، ورفض كل ما من شأنه الاعتراض على الحاكم أو السلطة الدينية، وبالتالي خلق شعوبٍ ومجتمعاتٍ اتكاليةٍ ضعيفةٍ غير قادرةٍ على رؤية حاضرها فضلًا عن مستقبلها. وإذا كانت التيارات الدينية تقول إن

الحل هناك في الخلف حيث يقبع النص الديني بفهمه الأول، تمارس العلمانية إطلاق طاقات العقل البشري وتكوين الظروف الملائمة للإبداع والتفكير للتوصل إلى أفضل الحلول وفقًا لمهارات الإنسان ومصالحه الآنية، وهذا لا يتعارض أبدًا من كون الدين، أي دين هو عبادةٌ خاصةٌ شخصيةٌ تُمارَس وفقًا لطقوسها في دورِ العبادة فقط. إننا اليوم بأشد الحاجة إلى استنباط الحلول لواقعنا المؤلم من الأرض، من الإنسان الذي يعيش مع أخيه الإنسان ويتعامل معه، ولسنا بحاجة إلى حلول الفقهاء ورجال الدين التي جاءت وفق زمانها ومنظورها التاريخي المختلف حوله، والتي أصبحت بعد التفسير والتأويل مذاهب وأديانًا تتصارع على تمكين نفسها وإقصاء الآخر المختلف.

إن معرفة سبب الخوف من تطبيق العلمانية في مجتمعاتنا العربية، غالبًا لا يأتي من عامة الشعب، وإن كان بعضهم الكثير مغسول الدماغ بسبب التأثير الديني، بل يأتي الخوف من العلمانية بالمقام الأول من السلطة الدينية التي تعلم قام العلم أن بهرجة السلطة والمال والحكم ستختفي لا محالة حال تطبيق العلمانية، ولهذا فإن شروط تطبيق العلمانية يتطلب أولًا مواجهة السلطة الدينية، وبالتأكيد أنها مواجهة مكلفة وتؤدي إلى عواقب وخيمة، وقد أدّت بالفعل إلى ذلك في مجتمعاتنا العربية، ووصلت المواجهة إلى حد التصفيات والاعتقالات وحتى القتل والنفي لبعض المفكرين والمدافعين عن العلمانية.

إن الخطر، إذا لم يتم مواجهته - والناشئ من الخوف من مواجهة السلطة الدينية - سوف يكون أشدّ خطورةً، وسوف ندفع الثمن جميعنا يومًا ما، إذا لم نتدارك ونفصل الدين عن الدولة وإعادة المدنية إلى مجتمعاتنا، مع الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية كتاريخ وثقافةٍ يتم اعتبارهما مرحلةً ندرسها، نعلّمها للأجيال، ننهل من تعاليمها، أدبُّ وفكرٌ ومعرفة. إن الشعوب العربية مازالت تخشى الثورة المدنية، ومازالت ترى في الحلال والحرام منهج حياةٍ وتدبيرِ يومي، ولم يكن هذا الشعور طاغيًا إلا بعد أن مَكنت التيارات الإسلامية وربيبتها المذهبية من السيطرة على الأنظمة العربية، ومداهنتها وتخصيص فتاوي السلطة وبقاء الحاكم مدى الحياة مقابل إطلاق يدها في مجتمعاتنا، ليمارسوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع المرأة والحريات والرأي، حتى اختفت الحياة في داخلنا وفي مجتمعاتنا وحل البؤس والدمار



كتاب الخطاء القرائى يحصر الأثر من الفي وخمسائة خطأ لغوي في القرائى ويترجم الناس القرائي القرائى ويترجم النول القرائي لثلاث لغاس ويقرمه للأولى مرة بالترتيب التاريخي الصحيح

متوفر (الله على موقع المازوة ومجانًا على الرابط التالي

goo.gl/emoQDp



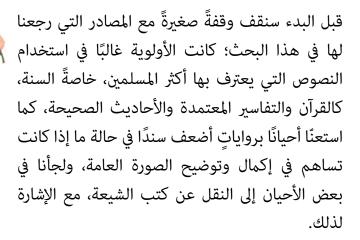


Moussa Eightyzz

رأينا النصوص الدينية تُقدِّم لنا نهاذج من الشذوذ والعهر والانحلال لدى الأنبياء، وهم المثل الأعلى لأي مسلم، والآن لننتقل إلى تعاليم الإسلام الدينية المباشرة، من خلال نصوصه وسيرة نبيّه.



#### عن الروايات:



وإن كنا -كما قلنا- قدّمنا المصادر التي يعترف بها المسلمون السنة حسب مقاييسهم، وهي «الروايات الصحيحة»، إلا أنه يجب التنويه أننا لسنا ملزمين بالمطلق باتباع تلك المقاييس الفقهية، ولا شيء يجبرنا على التقيد بقواعد الجرح والتعديل وعلم الرجال التي يختلف حولها المسلمون أنفسهم؛ فمن ناحية المعروف



و في النهاية لا توجد وسيلةً مضمونةً مائةً بالمائة لمعرفة صدق الروايات، ولكن يكفينا أن ما سنذكره موجودٌ في المصادر الإسلامية، وبالتالي فهو جزءٌ من المنظومة التراثية الإسلامية، شاء من شاء وأبي من أبي.

# هدم أسطورة دين العفّة (3) الإسلام والزواج

#### المرأة = متاع

ورث الإسلام النهج اليهودي في كل شيء تقريبًا، بما في ذلك التعامل مع المرأة والنظرة إلى الجنس، وأضاف إلى ذلك بعض الخصال العربية الأخرى، والنتيجة أن الإسلام تبنّى نظرةً دونيةً للمرأة، فمنح الذكر حقوقًا تسلطيةً عليها تكاد تصل إلى اعتبار المرأة كمجرد شيء تابع، فهي ليست أكثر من أداة إمتاع وإنجاب يمتلكها الرجل، مما سينتج لنا في هذا الدين وجهين متناقضين من الانحلال الفاحش والتشدد الصارم، كما سنرى.

سنبدأ من المصطلحات اللغوية التي تستخدمها النصوص الإسلامية للحديث عن المرأة والعلاقة بها، ولنرى بعض دلالاتها المعرفية والثقافية.

التوراة تخبرنا أن الله خلق المرأة من أجل الرجل (تكوين: 2-18)، وهو ما يؤكده العهد الجديد على لسان بولس الرسول (كورنثوس الأولى: 11-9)، أما القرآن فهو يشير إلى نفس الحقيقة في قوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (الروم: 21)؛ فتعبير «خلق لكم» يؤكد نفس المفهوم اليهودي والمسيحي أن المرأة خُلقت خصيصًا من أجل الرجل.

يقول محمدٌ في صحيح مسلم 1476: «الدُّنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالحةُ».

#### فهو يصف المرأة بأنها «متاع»، و لكن يا تُرى ما معنى تلك الكلمة؟

لو عدنا إلى القرآن فسنجد أن لفظة «متاع» تتكرر كثيرًا وتأتي بمعنى «أشياء تُمتلك»؛ ولكن لنرجع إلى المعاجم ونرى المعنى الأصلى.

من معجم «لسان العرب»، تحت جذر «متع» نقرأ: «فأما المَتاعُ في الأَصل فكل شيء يُنْتَفَعُ به ويُتَرَقَّدُ»، «المَتاعُ من أَمْتِعةِ البيت ما يَسْتَمْتِعُ به الإِنسان في حَوائِجه، وكذلك كل شيء»، وفي معجم «الصحاح في اللغة» نقرأ: «المَتاعُ السِلعةُ»، ومن «القاموس المحيط»: «والمَتاعُ: المَنْفَعَةُ، والسِّلْعَةُ، والأداةُ، وما تَمَتَّعْتَ به من الحَوائج».

### الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن

يسارية، علمانية، ديممقراطية «من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي حديث يضمن الحرية العدالة الاجتماعية للجميع»

http://www.ahewar.org

## هدم أسطورة دين العفّة (3) الإسلام والزواج

إذًا، المتاع لغةً هو السلعة، أو الشيء الذي يُنتفع به؛ بذلك نجد نبي الإسلام يصف المرأة، وكأنه مدحها!

هذا المعنى يتأكد في رواية أخرى للحديث، في صحيح ابن ماجة 1516 تقول: «إِنَّا الدُّنيا متاعٌ ولَيسَ مِن متاعِ الدُّنيا شَيءٌ أفضلَ منَ المرأة الصَّالحة».

ذلك يتماشى تمامًا مع تأكيد محمد أنه يحب «شيئين» في الدنيا: العطور والنساء؛

حيث نقرأ في «سنن النسائي» - تحت باب

«حب النساء» الحديث رقم 3939: «حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا النساءُ والطِّيبُ»، ولا أظن أنه يمكن لشخصٍ يعتبر النساء بشرًا مستقلين - لا صنفًا من الطعام أو الأشياء - أن يصيغ كلامه على هذا النحو.

تلك المرأة منقوصة الحقوق، العورة، أكثر أهل النار، ناقصة العقل والدين، مُفسدة الصلاة مع الكلب والحمار، مُفسدة الوضوء مع الغائط، والتي يحق للرجل ضربها وتأديبها وحبسها، يبدو أن هدفها الأساسي هو أن تكون متعةً لذلك الرجل، متعةً جنسيةً بالأساس.

#### الزواج = جنس

يطلق العرب والمسلمون على الزواج لفظة «نكاح»؛ وعندما نعود إلى المعاجم نجد أمرًا ملفتًا، وهو أن الكلمة تعني «الزواج» وتعني «المعاشرة الجنسية» أيضًا.

من «لسان العرب»، تحت جذر «نكح»، نقرأ: «امرأَة يَنْكِحُها نِكاحًا إِذا تَزوجها... ونَكَحَها يَنْكِحُها: باضعها أَيضًا». ومن «الصحاح في اللغة»: «النُّكاحُ: الوَطْءُ، وقد يكونُ العقدَ»، وكذلك في «القاموس المحيط»: «النِّكاحُ: الوَطْءُ، والعَقْدُ

وبما أن اللغة هي مفتاح فهم ثقافة الشعوب، فإن هذا التطابق اللغوي عند العرب بين معنى الزواج ومعنى ممارسة الجنس له دلالةٌ واضحة، نتركها لذكاء القارئ.



ونفس الدلالة نجدها في النصوص الإسلامية، فبينها وردت كلمة «نكاح» في القرآن نحو عشرين مرةً بمعنى الزواج، مثلًا في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...إلخ ﴾ (الأحزاب: 49)، لكن من ناحيةٍ أخرى فقد وردت أحيانًا بشكلِ يُفهم منه أنها تعني «الجنس» تحديدًا.

فحين تحدث القرآن عن عدم إمكانية رجوع الزوجة إلى زوجها بعد الطلقة الثالثة، إلا بعد أن تتزوج شخصًا آخر، قال: ﴿ فَلا تَحِلُ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ (البقرة: 230)، وبما أن المعروف هو أن الزواج وحده -دون جنس- لا يكفي لأن تعود المرأة إلى زوجها الأول، فهذا يعني أن لفظة «النكاح» في هذا السياق مقصودٌ بها المعاشرة الجنسية.

كذلك حين تكلم محمدٌ عن العلاقة بين الزوجين في وقت الحيض، قال في صحيح مسلم 302: «اصنعوا كلَّ شيء إلَّا النِّكام»، والأكيد أن النكاح هنا هو المعاشرة الجنسية.

هذا التماهي اللغوي -بين الزواج والجنس- ينعكس على النظرة الإسلامية للزواج عمومًا، على أنه مرتبطٌ بالعملية الجنسية بالأساس.

وحين كان محمدٌ يتحدث مع أحد صحابته الشباب الذين تزوّجوا حديثًا، سأله إن كانت زوجته ثيبًا (تزوجت قبل ذلك) أم بِكرًا (عذراء) فأجابه بأنها ثيب، فعلّق محمد قائلًا: «فهلا بِكرًا تلاعبها وتلاعبك؟» («صحيح البخاري» 5247 و»صحيح مسلم» 715 وغيره).

وفي كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للإمام ابن حجر العسقلاني، باب « تزويج الثيبات»، نقرأ تعليقاته على «اللعب» المقصود في الحديث، فيذكر روايةً أخرى للحديث: «مالك وللعذارى ولعابها?»، ويضيف أن «المراد به الريق، وفيه إشارةٌ إلى مص لسانها ورشف شفتيها، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل»، وهذا كله يعطينا فكرة بسيطةً عن نظرة نبي الإسلام للزواج، حيث لم يُبدِ هنا أقل اهتمام بشخصية الزوجة أو عقلها أو حتى دينها، فالمهم هو الجنس واللعب والتقبيل.





هذا الاهتمام بالبكورة والجدير بفكرٍ عربيٍّ نهوذجي، وكذلك الربط العجيب بين بكورية المرأة وبين طهر لعابها، نجده في حديثٍ آخر لمحمد، ورد في «صحيح ابن ماجة» 1520 وغيره، حيث ينصح المسلمين قائلًا: «عليكُم بالأبكارِ فإنَّهنَّ أعذَبُ أفواهًا وأنتَقُ أرحامًا وأرضَى باليَسيرِ».

لكن الزواج في الإسلام، ليس فقط ممارسةً جنسيةً محضةً، وإنما هو بالأحرى «صفقةٌ» تجاريةٌ، يدفع فيها الرجل المال للمرأة، في مقابل الاستمتاع الجنسي بها، كما سنرى.

#### الزواج هو تملّك الرجل لفرج امرأة

حين يتكلم القرآن عن الزواج يقول إن الرجال يحصلون على النساء بأموالهم، ويدفعون لهن أجرًا في مقابل الاستمتاع بهن ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ مُّصَنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا سْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ (النساء: 24).

سنعود مرةً أخرى إلى تلك الآية عند الحديث عن زواج المتعة؛ ولكن نكتفي الآن بالإشارة القرآنية إلى ربط المتعة بالأجر، وكأن الزواج في نظره هو علاقةٌ بين المال من جهةٍ والجنس من جهةٍ أخرى!

فمن تفسير الطبري للآية نقرأ «عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَــَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ يقول: «إذا تزوّج الرجل منكم المرأة ثم نكحها مرةً واحدةً فقد وجب صداقها كله. والاستمتاع هو النكاح» – هكذا فالمهر هو مالٌ يُدفع في مقابل الجنس بالتحديد.

نقرأ في «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور -في تفسير الآية السابقة- أن جمهور الفقهاء: «يجعلون الصداق ركنًا للنكاح».





وربا لهذا يأمر القرآن الرجل الذي يتزوج امرأةً ثم يطلقها قبل أن يعاشرها بأن يدفع نصف المهر المطلوب فقط (البقرة: 237)، ربا لأن المرأة هنا صارت «نصف مستعملة»، فالمسألة تأخذ صورة البيع والشراء البحت، بشكل لا يختلف كثيرًا عن عرضٍ لأحد المتاجر، متجرٌ يضع نظامًا لعملائه: من يشتري بضاعةً ويرجعها في اليوم التالي فسنرد له نصف الثمن - فهنا يتضح الربط المباشر بين المال المدفوع والجنس الذي ينبغي الحصول عليه.

وفي حديثٍ ورد في «صحيح البخاري» 5312 و5350 وفي «صحيح مسلم» 1493 وفي «سنن أبي داود» 2131 و2257 وفي حديثٍ ورد في وصحيح البخاري، 5312 و5350 وغيرها، يخبر النبي رجلًا بأن الصداق الذي دفعه لزوجته إنما هو لقاء الجنس الذي مارسه معها، فيقول له: «إن كنتَ صدقتَ عليها فهو بما استحللتَ من فرجها».

و لذلك يتم وصف الرجل المتزوج بأنه «رجلٌ ملكَ بضعَ امرأةٍ»، أي رجلٍ امتلك فرج امرأة (عضوها الجنسي)، وهو ما ورد في أحاديث عديدةٍ عن محمد، كما في «صحيح البخاري» 5157 و«صحيح مسلم 1747 وغيرهما، وكأن المسألة تتلخص في أن يقوم الرجل بدفع المهر في مقابل شراء أو لنقُل تأجير عضوٍ جنسيً لامرأة، وهو مفهومٌ لا نحتاج إلى القول كم يسيء إلى كرامة المرأة بشكلٍ بشعٍ ويحط من قيمة الزواج إلى ما يشبه وضع الدعارة أو البغاء.

هذا التعريف للزواج، بأنه «تملّك لبضع المرأة»، نجده في كثير من أدبيات الفقه الإسلامي السني، وأيضًا الشيعي، فاستخدمه أمّةٌ مثل الطوسي في كتاب «المبسوط» والنجفي في «جواهر الكلام» وغيرهما.

تلك الصورة عن امتلاك الرجل للمرأة تظهر في العديد من النصوص الأخرى، فنسمع محمدًا حين يريد أن يوصي الرجال بالنساء يقول في «سنن الترمذي» 1163: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوانٌ عندكم»، وفي الحاشية يقول الترمذي أن العون هو الأسير!

ولأن العلاقة بين الرجل والمرأة حسب الإسلام هي علاقة عبودية (ملك)، أو في أفضل الأحوال علاقة تعاقدية (مالٌ مقابل جنس) فالمرأة يجب عليها طاعة الزوج عمومًا، ولكن



بشكلٍ خاصٍ في المعاشرة، فيحرم عليها رفض الاستجابة الجنسية إلى زوجها مهما كان الحال، فإن فعلتْ فهي تقوم بارتكاب ذنبِ عظيم، وتخالف شروط العقد.

يقول نبي الإسلام في البخاري 3237: «إذا دعا الرجلُ امرأتهُ إلى فراشِهِ فأَبَتْ، فبات غضبانَ عليها، لعنتها الملائكةُ حتى تُصبح»، وفي «سنن الترمذي» 360 أنه قال: «ثلاثةٌ لا تُجاوزُ صلاتَهم آذانَهم... منهم (وامرأةٌ باتتْ وزوجُها عليها ساخطٌ)»، كما ورد في «صحيح الجامع» للألباني 533: «إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فلْتُجبْ، وإن كانتْ على ظهْرِ قَتَبِ»، أي لو كانت راكبةً على بعير، والمقصود مهما كانت ظروفها، التي لا تهم هنا كونها مجرد أداةٍ جنسيةٍ مؤجرةٍ للرجل بعد أن دفع ثمنها (مهرها).

أما في فترة الحيض، حيث لا تجوز الممارسة الجنسية (حسب التوراة والقرآن) فيُسمح للرجل الاستمتاع بزوجته من طرفٍ واحد، دون إكمال العملية الجنسية من جانب المرأة.

نقرأ في موقع «الدرر السنية» –الموسوعة الفقهية- الفرع السادس، وطء الحائض، حيث الإشارة إلى أنه «يجوز الاستمتاع بالحائض بما فوق السُّرَّة وبما تحت الرُّكبة»، ويُستدل على ذلك بالقرآن (البقرة: 222) وحديث محمد الوارد في صحيح مسلم 302 «اصنعوا كلَّ شيء إلَّا النِّكاح»، (وبفعله- النبي- مع أزواجه، حيث كانَ يباشرهنَّ في المحيض، فدلَّ كلُّ ذلك على أنَّ الأمر باعتزالهنَّ هو في الوطء خاصَّةً)، كما ورد عن عائشةَ، قالت: «وكان يأمُرني فأتَّزر، فيُباشرني وأنا حائض»، كما

قالت: «كانتْ إحدانا إذا كانتْ حائضًا، فأراد رسولُ الله أنْ يباشرها، أمرَها أن تتَّزر في فَور حيضتِها، ثُمَّ يباشرها». وعن ميمونةَ قالت: «كان رسولُ الله إذا أراد أن يباشِر امرأةً مِن نسائه، أمرَها فاتَّزرت وهي حائض».

الخلاصة أنه -كما جاء في الموسوعة «أنَّ النبيَّ أمر أن يصنع الرَّجُل في امرأته الحائض كلَّ شيء إلَّا الجماع، وهذا نصُّ في حِلِّ ما سوى الجِماع» كما ينقل الموقع إجماع علماء المسلمين على جواز الاستمتاع بالمرأة في وقت الحيض، دون جنسِ كامل.

و هكذا فالهدف الأول من الجنس هو إمتاع الرجل فقط، دون اعتبار لمشاعر المرأة أو احتياجاتها.





#### المرأة مِلكٌ للرجل

بعد هذا لا عجب أن نرى تلك النظرة الدونية للمرأة كملك للرجل تنعكس على كلام الفقهاء المسلمين على مَرّ الزمن، فنسمع - على سبيل المثال - الإمام الشهير ابن القيم يقول في كتابه «إعلام الموقعين» 2\106: «إنّ السيد قاهرٌ لمملوكه، حاكمٌ عليه، وهي تحت سلطانه وحكمه شبه الأسير».

ويقول ابن الجوزي في كتابه «أحكام النساء»: «وينبغي للمرأة أن تعرف أنّها كالمملوك للزوج.. وينبغي للمرأة أن تصبر على أذى الزوج كما يصبر المملوك»، كما نسمع الإمام الغزالي يقول في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين»: «القول الشافي فيه أن النكاح نوع رقّ، فهي رقيقةٌ له، فعليها طاعة الزوج مطلقًا»، إلى غير ذلك من أقوال علماء المسلمين المهينة للمرأة ولمؤسسة الزواج؛ حتى نقلَ ابن قدامه في المغنى قولًا للزهري بأن قتْل الرجل لامرأته لا يُعد جرعةً، لأنها مِلكُ له، مثلها مثل البهيمة تمامًا! «ولا يُقتل الرجل في بهيمته».

ولا عجب أيضًا أن نرى الفقهاء يستفيضون في مقارنة علاقة الزوج بزوجته بعلاقة المالك بالأشياء التي اشتراها أو استأجرها بأمواله، وذلك في إطار جدالهم حول ما إذا كان من واجب الزوج أن يعالج زوجته إذا مرضت أو يكفنها حين تموت... إلخ، حيث رأى الأكثرية أنه لا يجب على الزوج علاج زوجته المريضة أو شراء الدواء لها أو تكفينها بعد موتها، وهذا ما ورد في العديد من الفتاوى للشيخ ابن جبرين وفتاوي اللجنة الدائمة وغيرهما، فيما نقلوه عن فقهاء المذاهب الأربعة.

في بعض تلك الفتاوى استشهد بكلام للإمام ابن قدامة، يُشبّه فيه علاقة الرجل بالمرأة بعلاقة المستأجر بالشيء الذي يؤجره لمنفعته، فيقول في كتابه «المغنى»، كتاب النفقات، فصل 6460: «ولا يجب على الزوج شراء الأدوية ولا أجرة الطبيب كونه لا يُراد لإصلاح الجسم (والجسم مُستأجرٌ وبالتالي) لا يُلزمه، كما لا يُلزم المستأجر بناء ما يقع من الدار».

أما الفقيه الحنفي شمس الأمة الحلواني فيقول في ترجمته في الأنساب للسمعاني ج 4\248 أن المرأة «إذا مرضت مرضًا لا يمكن الانتفاع بها بوجه من الوجوه تسقط النفقة»، هنا نرى تجسيدًا لكون المرأة متاعٌ يُشترى ويُنتفع به، فإن لم تعد لها فائدةً فلا داعى للإنفاق عليها.

بينما رأى الشافعي في كتاب «الأم»، كتاب النفقات 6\342، 343 أن الإنفاق على الزوجة طالما هو «للجماع فالمريض لا يجامع فأسقطت لذلك النفقة»؛ فكأن الشافعي يقول أن الإنفاق على الزوجة يكون من أجل الجنس بالأساس، وطالما أن المريضة تكون غير قادرةٍ على ممارسة الجنس فلا يكون هناك أي داع لينفق الزوج عليها.

وكما يلاحظ بحق الكاتب قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» ص 147: «رأيت في كتب الفقهاء أنهم يُعرِّفون الزواج بأنه:



«عقدٌ ملك به الرجل بضع المرأة»، وما وجدت فيها كلمةً واحدةً تشير إلى أن بين الزوج والزوجة شيئًا آخر غير التمتع بقضاء الشهوة الجسدانية، وكلها خاليةٌ عن الإشارة إلى الواجبات الأدبية التي هي أعظم ما يطلبه شخصان مهذبان كل منهما من الآخر».

ولكن الحقيقة أنه لا لوم على الفقهاء في تلك الأحكام والأقوال، فهم فقط ورثوا نظرة الإسلام إلى أصل مفهوم الزواج، أنه «عملية تأجير الرجل لجسد المرأة»، أو هو ببساطةٍ صفقة «، مالٌ مقابل جنس».

تأكيدًا لتلك النظرة للزواج -أنه تملكٌ من الرجل لجسد المرأة- نرى مشهدًا عجيبًا يحدث بعد هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة، وإجراء محمد للمؤاخاة الثنائية بين المهاجرين والأنصار، حيث نرى بعض أهل المدينة يتطوعون بقسمة أموالهم بالنصف بينهم وبين إخوانهم المؤمنين، وضمن هذا نراهم يقسمون النساء!

نقرأ في «صحيح البخاري» 3780 و3781 أحد الصحابة من أهل المدينة يقول لصحابيًّ آخر من المهاجرين: «إني أكثر الأنصار ماًلا، فأُقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجتها» – هذا العرض السخي «اختر من نسائي ما يعجبك وخذها!» يؤكد أننا نتحدث عن نساءٍ أشبه بالأملاك يتم تقسيمهن بين الرجال كما تُقسّم البهائم.

وعلى سيرة البهائم، فتلك النظرة نفسها نراها في ملمح عجيبٍ نوعًا، حيث أن الدعاء الذي يردده المسلم عند زواجه ودخوله على امرأته، هو ذاته الدعاء الذي يردده المسلم حين يشتري دابةً أو بعيرًا!

نسمع نبي الإسلام يقول في «سنن أبي داود» 2160 وسنن ابن ماجة 1918 والمستدرك على الصحيحين للنيسابوري 2811: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ. وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»،

وفي بعض الروايات -كالتي وردت في صحيح ابن ماجة- 1570 ينصح محمدٌ المسلم بأن يمسك بمقدمة شعر «الكائن!» الذي اشتراه وهو يتلو الدعاء، سواء المرأة أو الدابة، فيقول «إذا أفادَ أحدُكمُ امرأةً أو خادمًا أو دابَّةً فليأخُذ بناصيتِها وليقل اللَّهمَّ إنِّي أسألُك مِن خيرِها وخيرِ ما جُبِلَتْ عليهِ وأعوذُ بِك من شرِّها وشرِّ ما جُبِلَتْ عليهِ».

امرأةً أو خادمًا، أو دابةً! يا لها من مقارنةٍ تليق بدينِ يدّعي أنه يكرّم المرأة!



#### تعدد الزوجات

تسمح التوراة بتعدد الزوجات، وهي لم تضع حدودًا قصوى لعدد الزوجات المسموح به، فإبراهيم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم جميعًا مارسوا التعدد دون أدنى اعتراضٍ من الإله اليهودي على تلك العادة؛ ولكن لاحقًا ومع تقدم الزمن يُذكر أن الحاخامات اليهود سعوا إلى تنظيم الأمر عن طريق تجحيم العدد، فنقرأ في التلمود (يباموث-144) رأيًا لأحد الحاخامات ينصح بألّا يزيد عدد الزوجات من النساء لرجلٍ واحدٍ عن أربعةٍ كحدٍ أقصى.

ولأن الإسلام -كما قدّمنا- يسير على نهج اليهودية في إطارٍ عربي، ولأنه يعتبر النساء أداة متعةٍ أو ملكيةٍ لانتفاع الرجل بها، فكان من الطبيعي أن يسمح بدوره بتعدد النساء التابعات لرجلٍ واحد، وقد جعل للأمر نفس الإطار اليهودي الرباعي، فقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا تُغُولُوا ﴾ فقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا تُعُولُوا ﴾ (النساء: 3).

لا يفوتنا ملاحظة التعبير المستخدم «ما طاب لكم من النساء» وهو يعيدنا إلى نفس المفهوم الإسلامي عن المرأة وكأنها صنفٌ من الفاكهة أو المتاع، فخذوا منه أيها الرجال ما طاب لكم!

أما لو عدنا إلى التفاسير المختلفة للآية، التي تبدو صعبة الفهم بالنسبة للكثيرين، فسنجد أن تشريع التعدّد لم يكن حلًا لمشكلةٍ ما كما

يظن البعض، بل وليس له علاقةٌ مباشرةٌ بمسألة «القسط في اليتامي»:



الآية تتحدث عن حالة رجلٍ يكون قامًا على تربية فتاةٍ صغيرةٍ يتيمةٍ فينوي أن يتزوجها، وهنا تظهر شبهة الظلم في المسألة، فربما الرجل الطماع قد يستغل وضعه ليبخس قيمة صداقها أو مهرها، أو يكون لها أموالٌ فيطمع فيها؛ هنا القرآن يقول إذا خفتم من شبهة ظلم أولئك اليتيمات فاتركوا الزواج بهن، ويمكنكم بدلًا من ذلك أن تتزوجوا أي نساءٍ أخريات غيرهن، سواءً واحدةً أو اثنتين أو ثلاثةً أو أربعةً (هذا التفسير يأتي مفصلًا في روايةٍ عن عائشة، وردت في عدة مصادر مثل «صحيح البخاري» 4574، ومثل تفسير الطبري للآية فيمكن الرجوع له).

إذن فالتعدد هنا لم يتم تشريعه كحلٍ استثنائي لوضع أولئك اليتيمات كما يفهم البعض، ولا توجد علاقةٌ مباشرةٌ بين «القسط في اليتامى» و»نكاح أربعة نساء»، وإنها صيغت العبارة وكأنني أقول لك على سبيل المثال:

«يا فلان لو كنت تخشى من ضرر مطاعم الوجبات السريعة فكل ما شئت من الطعام الآخر، فطورًا وغداءً وعشاءً» -



فالمقصود في الحالتين هو: اترك ما يريبك إلى ما لا يريبك فالاختيارات واسعة.

وحسب ما ورد في المصادر الإسلامية لا نجد أنّ أحدًا اعتبر التعدد ظاهرةٌ استثنائيةٌ أو حالةٌ خاصة، وإنما نجد أن كبار الصحابة عددوا، فعلى سبيل المثال، أبو بكر تزوج من أربعة نساء، وعمر بن الخطاب تزوج تسعة، وكذلك عثمان وعلي كل منهم تزوج تسعة نساءٍ على مدى حياته، وكذلك أكثر الصحابة غالبًا ما كانوا يجمعون بين عدة نساءٍ في وقتٍ واحد.

ومن البديهي التأكيد على أن الإسلام يسمح بالتعدد في اتجاه واحد، فالرجل هو الذي يحق له امتلاك عددًا رباعيًا من النساء، كما يحق له تطليقهن أو ردهن كما يشاء، مما يؤكد أن العلاقة تقوم على المِلكية بأكثر مما تقوم على الشراكة والقبول والمساواة.

والطريف أننا سنرى المسلمين يفرقون بين الأحرار والعبيد، فيمنعون الذكر العبد من الزواج بأكثر من اثنتين، حيث نقرأ في تفسير البغوي للآية 3 من سورة النساء: «وإذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر يجوز، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم «، «عن عمر بن الخطاب أنه قال: ينكح العبد امرأتين»؛ كما أن العبد لا يمكنه الزواج دون إذن سيده، فإذا فعل ذلك فهو «عاهر» كما قالها محمدٌ بنفسه: «أيّا عبدٍ تزوّجَ بغيرِ إذنِ سيدهِ فهو عاهرٌ»- («سنن الترمذي» 111 و112، و «العلل الكبير» للبخاري و «المحلي» لابن حزم 9\467 وغيرها)، مما يذكرنا بجانبٍ آخر مهم من التشريع الإسلامي وهو الجانب الطبقي، الذي سنعود بين الحين والآخر للإشارة له.

وحين نزل الأمر القرآني بتحديد العدد بأربعة، كان كثيرٌ من الصحابة لديهم أضعاف هذا العدد، فكانوا ينتقون من يبقون عليهن ومن يتركون، كما نقرأ مثالًا لإحدى الروايات في تفسير البغوي للآية 3 من النساء: «وروي أن قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة، فلما نزلت هذه الآية قال له الرسول: «طلِّق أربعًا وأمسك أربعًا» قال فجعلت أقول للمرأة التي لم تلد يا فلانة أدبري والتي قد ولدت يا فلانة أقبلي»- مما يعطينا فكرةً أخرى عن النظرة إلى المرأة وأسلوب التعامل معها في تلك البيئة.

كما أنه لا حاجة لتأكيد الضرر النفسي الذي يقع على المرأة من جراء الزواج عليها، ذلك الضرر الذي يظهر لنا واضحًا باعتراف النبي نفسه، حين أراد عليّ بن أبي طالب أن يتزوج امرأةً أخرى غير فاطمة ابنته، فذهبت الأخيرة لتشتكي لأبيها النبي، الذي غضب ورفض الإذن لعلي بالزواج وأصر على أن ممارسة شرع الله -التعدد- سوف يضر بابنته! نقرأ القصة في «صحيح البخاري» 3729 و471 و750 و750 و«صحيح مسلم» 2449 و«سنن أبي داود» 2071 و«سنن الترمذي» 3869 وغيرها من المصادر: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: (أن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعةٌ مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها)».



فها هو النبي لا يقبل أن يطبّق شرع إلهه على ابنته، بحجة أن ما يؤذيها يؤذيه؛ وكأنه نسي أن بنات المسلمين أيضًا لديهن مشاعر يتمّ جرحها، ولديهن هم أيضًا آباء وأمهاتٍ يتألمون لألمهن.

#### زواج الطفلات حتى الرضيعة

لأن المرأة مخلوقةٌ للرجل وأداةٌ لمتعته الجنسية يشتريها بأمواله، فقد سمحت الشريعة الإسلامية بتزويج المرأة في أيّ عمر كان، حتى ولو كانت رضيعةً ولدت منذ خمس دقائق! هذا ما تدل عليه النصوص كما سنرى.



أما المعاشرة الجنسية، فقد تنبه المسلمون إلى خطورتها في سن الطفولة، والذي قد يصل إلى مقتل الطفلة، فقرّر الفقهاء أنه بينما يجوز تزويجها في أي سن، فلا يجوز معاشرتها إلا حين تصل إلى مرحلة - ليس البلوغ، وإنما «الإطاقة»، كما سنرى أيضًا.

نبدأ بتلك الآية من سورة الطلاق: ﴿وَللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ رْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ (الطلاق: 4).

الآية جاءت في سياق الحديث عن عدّة المرأة المطلقة (وهي الفترة التي يُسمح للمرأة بعدها بالزواج مرةً ثانيةً)؛ كان القرآن قد حدد تلك الفترة بأنها «ثلاث حيضات» (البقرة: 228)، وهذا ترك مشكلةً عند بعض النساء اللائي لا يحضن فكيف نحسب العدة بالنسبة لهن؟ وهنا جاءت الآية من سورة الطلاق لتحل المشكلة، بالقول أن عدة هؤلاء ثلاثة أشهر. أما أولئك النساء اللائي لا يحضن فهن نوعان: الأول هن الكبيرات في السن بحيث توقفت دورتها الشهرية، وهن مَن سمّاهن القرآن بـ(اللائي يئسن من المحيض)، والنوع الثاني هن الصغيرات اللائي لم يبلغن بعدُ فلا دورة لهن، وهن مَن

### هدم أسطورة دين العفّة (3) الإسلام والزواج Moussa Eightyzz

سمّاهن بـ(اللائي لم يحضن) - والآية معناها «اللائي بلغن سن اليأس فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك اللائي لم يحضن بعد».

وتلك العبارة الأخيرة تعني أن الطفلة التي لم تبلغ بعدُ مكن أن تكون متزوجةً، بل وتُطلق- وهكذا استدل الفقهاء بالآية على جواز زواج الأطفال شرعًا.

وتخبرنا التفاسير أن سبب نزول الآية كان تحديدًا لإجابة تساؤل بعض الصحابة، عن عدّة الكبيرة في السن وعدّة الطفلة.

نقرأ من تفسير الطبري للآية: «قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن عِددًا من عِدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار، وأولات الأحمال، فأنزل الله: (وَاللاَّئِي النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار، وأولات الأحمال، فأنزل الله: (وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ... يَئِسْنَ مِنَ المَحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَتَهُ أَشْهُرٍ واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ... إلخ)».



وتُجمع التفاسير أن المقطع المشار له يتحدث بالتحديد عن الطفلة التي تزوجت وعاشرها زوجها ثم تم تطليقها؛ من الطبري (عن السديّ «واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ» قال: الجواري)، «سمعت الضحاك يقول في قوله: «واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ» لم يبلغن المحيض، وقد مُسِسْن، عدتهن ثلاثة»، ومن تفسير الرازي للآية: «وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لم تحض فنزل: (وَٱللآئِي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ)»، «قام رجل فقال: يا رسول الله فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: «وَٱللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ» أي هي بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر» ـ وهو ما تُجمع عليه سائر التفاسير كالقرطبي وابن كثير والسيوطي والسعدي والبغوي...إلخ.

تلك الآية، بالإضافة إلى زواج محمد بعائشة وإلى أفعال الصحابة، كتزويج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب وهي صغيرة، وكذلك فَعلَ الزبير، كما ورد في مصنف عبد الرازق وطبقات ابن سعد ومصنف ابن شيبة وغيرها من المصادر الإسلامية، كل ذلك جعل الإجماع الفقهي للمسلمين يتفق على جواز تزويج الطفلة في أي سن.





#### ماذا قال الفقهاء؟

نرى هذا مثلًا في عدة فتاوًى في موقع «الإسلام سؤال وجواب» تحت إشراف الشيخ محمد صالح المنجد، حيث يقول جوابًا على أحد الأسئلة (لم يحدّد الشرع سنًا معينةً للنكاح)، ويقول: «زواج الصغيرة قبل بلوغها جائز شرعًا بل نقل فيه إجماع العلماء»، ثم يثبت ذلك بالقرآن (الآية السابقة من سورة الطلاق)، وبالسنّة (زواج محمد من عائشة)، وكذلك بالإجماع ويذكر آراء الفقهاء والأمّة المختلفين.

وفي أماكن أخرى نقرأ أن الأئمة قالوا بإمكانية زواج الطفلة أيًّا كان عمرها؛ فننقل مثلًا قول الإمام ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» و\101 «وقد صرّح بذلك الدار قطني، وأبو مسعود، وأبو نعيم، والحميدي، وقال ابن بطال: يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعًا ولو كانت في المهد»، ويقول فقيهٌ بارزٌ آخر هو الشوكاني في «نيل الأوطار» ما 252 (وحكي في الفتح الإجماع على جواز ذلك قال: «ولو كانت في المهد»)، كما يقول الإمام النووي في «روضة الطالبين» \$175 أنه «يجوز نكاح الرضيعة».

#### لا تُستأذن في الزواج

مع ملاحظة أن الفقهاء أضافوا تأكيدًا (بديهيًا) على أنه لا يجب أخذ رأي تلك الفتاة الطفلة في الزواج، بل تُجبر على ذلك إجبارًا مهما كرهت الأمر وحاولت أن ترفضه- وهو على كل حالٍ شيءٌ غير مستغربٍ بالنظر إلى سنها، فهل هناك عاقلٌ سيطالب بأخذ رأي رضيعة، أو حتى طفلة ابنة خمس سنواتٍ مثلاً؟!

وبينما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يجوز إجبار المرأة على الزواج قهرًا، إلا أنه يستثني من ذلك الصغيرة البكر، فيقول في «مجموع الفتاوى» 32\32 «المرأة لا ينبغي لأحدٍ أن يزوجها إلا بإذنها كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كرهت ذلك: لم تُجبر على النكاح، إلا الصغيرة البكر، فإن أبيها يزوجها، ولا إذن لها».





ويقول الفقيه ابن عبد البر، في «الاستذكار» 16\50,49: «أجمع العلماء على أن للأب أن يزوِّج ابنته الصغيرة، ولا يشاورها، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوَّج عائشة بنت أبي بكر وهي صغيرةٌ بنت ست سنين، أو سبع سنين، أنكحه إياها أبوها»، ويقول ابن قدامة في «الشرح الكبير» 7\386: «قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن نكاح الأب ابنته الصغيرة جائزٌ إذا زوجّها من كفء، يجوز له ذلك مع كراهتها وامتناعها»، كما يؤكد ابن حزم في «المحلى» والأب ابنته الصغيرة المنافلة الاختيار حين تكبر لو كان من زوجّها هو أبوها، فيقول: «وللأب أن يزوج ابنته الصغيرة البكر ما لم تبلغ بغير إذنها ولا خيار لها إذا بلغت»، ولتأكيد كلامه يشير إلى حادثة زواج النبي من عائشة وهي بنت سنين.

هكذا تكتمل أركان الجريمة: اغتصاب جسد طفلة، ثم اغتصاب عمرها كله، تحت اسم الحلال وتحت شرع إله الإسلام، ولا شك أنها جريمة تكررت ملايين المرات عبر التاريخ، ومازالت تقع إلى اليوم في بعض البلدان الإسلامية، مما ينتج عنه حالات مأساوية لفتيات يتم انتهاك طفولتهن في عمر الزهور، وأحيانًا يفقدن حياتهن في ليلة الزفاف، وربما التي ماتت يكون حظها أفضل ممن بقيت حيةً، كي تستمر طوال حياتها أسيرة عند شخصٍ لم تختره ولم تعرف عنه سوى أنه أفقدها براءتها، بالتعاون مع أهلها.

#### متى يدخل بها؟

هذا عن عقد الزواج، فيمكن أن يكون في أي سنٍ حتى الرضيعة، أما الدخول (المعاشرة) فقد وضع له الفقهاء حدين لابد من توفر أحدهما (وليس الاثنين)، الأول هو بلوغ الفتاة سن التاسعة، والثاني لو بدا عليها «الإطاقة»، أو ما يصفونه بـ«تحمل الوطء» حتى لو كان قبل سن التاسعة.

نقرأ من فتاوى موقع «إسلام وجواب» ردًا على أحد الأسئلة: «...فالصغيرة التي تُنكح لا تُسلَّم لزوجها حتى تكون مؤهلةً للوطء، ولا يُشترط البلوغ، بل القدرة على تحمل الوطء»، ويُنقل عن الإمام النووي قوله في «شرح مسلم» 9\2066: «وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حدُّ ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسنِّ»، وكذلك نجد ابن حجر والشوكاني في الفقرات التي نضبط بسنِّ»، وكذلك نجد ابن حجر والشوكاني في الفقرات التي نقلناها عنهما حول جواز تزويج الطفلة يضيفان عبارة: «...لكن لا يمكن منها حتى تصلح للوطء».





ولو أخذنا نظرة الإسلام إلى المرأة -كما أوضحناها- في الاعتبار، فهنا يطرح السؤال نفسه: هل يا ترى اهتمام الفقهاء بتأجيل الوطء إلى السن التي «تصلح» الفتاة له أو «تطيقه» هو من باب الإنسانية والرحمة، أم فقط من باب المحافظة على السلعة من الفساد أو الموت، والذي قد يؤدي إلى خسارة المشتري لما دفعه؟ نترك الجواب للقارئ.

ثم لا ندري كيف يمكن لأحدٍ تحديد متى تصبح الفتاة «محتملةً للوطء»؟ يبدو أن أحد تلك العوامل هو سمنة جسمها، كما ينقل الإمام الحنفي ابن نجيم المصري في «البحر الرائق» 3\210: «وقيل إن كانت سمينةً جسيمةً تطيق الجماع يدخل بها» - ولنا أن نتصور المأساة لو كان تقديرهم متقدمًا قليلًا!

وعندما نناقش زيجات محمدٍ سنشرح كيف أن عائشة -طبقًا للمصادر الإسلامية- لم تكن بالغةً وقت الزواج أو الدخول بها كما يردد البعض.

#### مقدمات الانتهاك

لكن الأمر لا يقف عند معاشرة الطفلة جنسيًا حين يظنون أنها «تطيق الجماع»؛ وإنما قبل هذا يجوز للرجل التمتع بجسدها جزئيًا من دون إتمام العملية الجنسية الكاملة، فيما يسمونه «التمكين غير الكامل»!

فيقول ابن عمر الجاوي، أحد الفقهاء الشافعيين، في «نهاية الزين» 1\334: «وخرج بالتمكين التام التمكين غير التام كما إذا كانت صغيرةً لا تطيق الوطء ولو تمتّع بالمقدمات، يقصد بالمقدمات الأمور التي تسبق الوطء كالتقبيل والضم والتفخيذ وغيرها من الاستمتاعات».

ونقرأ في كتاب فتاوى للحديث هو «فقه الأسرة المسلمة» لمركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه، تحت أبواب «النكاح – عقد النكاح – الأركان والشروط»، فتوى رقم 11251، بعنوان «حكم زواج الكبير بالصغيرة والاستمتاع بها»:

«السؤال: (هل يجوز زواج الكبير البالغ من الصغيرة التي لم تبلغ؟ وإذا كان الجواب بنعم فهل يجوز وطؤها والاستمتاع بها؟)؛ ثم يأتي الرد أو الفتوى: (فإنه يجوز أن يتزوج الرجل الكبير البالغ البنت الصغيرة التي لم تبلغ بعد، وقد تزوج النبي وعمره فوق الخمسين سنة عائشة وعمرها ست سنوات، ودخل بها وعمرها تسع، كما في الصحيحين وغيرهما، كما إن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُمٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ (4) وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: 4، 5) إشارةً إلى أن الصغيرة التي لم تحض بعد يمكن أن تتزوج وتُطلق فتكون عدتها حينئذٍ ثلاثة أشهر، وإذا تزوج الرجل الكبير البنت الصغيرة جاز له أن يستمتع بها بكل أنواع الاستمتاع المباحة شرعًا، أما وطؤها فلا يطأها حتى تكون مطيقةً للوطء بحيث لا يضر بها، والله أعلم».



وفي نفس الكتاب، تحت أبواب «النكاح - الحقوق الزوجية - الاستمتاع وآدابه»، فتوى رقم 23672، بعنوان «حدود الاستمتاع بالزوجة الصغيرة»، نقرأ: «السؤال: (أهلي زوجوني من الصغر صغيرة وقد حذروني من الاقتراب منها، ما هو حكم الشرع بالنسبة لي مع زوجتي هذه وما هي حدود قضائي للشهوة منها وشكرًا لكم؟)، الفتوى: (فإذا كانت هذه الفتاة لا تحتمل الوطء لصغرها، فلا يجوز وطؤها... وله أن يباشرها، ويضمها ويقبلها، وينزل بين فخذيها».

وفي الفتوى رقم 56312 نجد نفس المعنى، حيث نقرأ: «...فإنه لا ضرر في الإنزال بين فخذي الصغيرة التي لا تطيق الجماع»، «وقد بين العلماء رحمهم الله تعالى: إن الأصل هو جواز استمتاع الرجل بزوجته كيف شاء إذا لم يكن ضرر، وذكروا من ذلك استمناءه بيدها ومداعبتها وتقبيلها».

وفي الفقه الشيعي نجد المفاخذة وغيرها أيضًا، حيث نقرأ- مثلًا- في كتاب «تحرير الوسيلة» 2\241 للإمام الخميني يقول: «لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال 9 سنين دوامًا كان النكاح أو منقطعًا، أما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوةٍ والضم والتفخيذ فلا بأس به حتى في الرضيعة».

ولك أن تتساءل أي رجلِ هذا الذي سيجد المتعة الجنسية في لمس وضم جسد طفلةٍ رضيعة!

إذًا، فخلاصة ما سبق أن المرأة في الإسلام هي في المقام الأول سلعة، أو أداة متعة، بينما الزواج في الإسلام هو امتلاك لبضع «فرج» امرأة، ويمكن امتلاك ما طاب منهن سواء اثنتين أو ثلاثة أو أربعة، كما يمكن امتلاك المرأة حتى وهي طفلة، ووطؤها مباحٌ أول ما يتبين لهم أنها ستحتمل ذلك (يعني لن تموت بسببه)، وأما مقدماته، اللمس والضم والتقبيل والإنزال بين الفخذين (المفاخذة)...إلخ، فمباحةٌ ولو كانت رضيعةً في المهد! تلك هي أحكام الشريعة في الزواج.

ونرى الهم الأول لواضعي تلك الشريعة هو متعة الرجل من طرف واحد، بينما لا نلمح أدنى اهتمام منهم بحالة الزوجة، خاصةً في الحالة الأخيرة وهي طفلة، كما لا نرى أقل وعيًّ بالحالة النفسية لتلك الطفلة، أو بالأثار المترتبة على ذلك الاغتصاب الممنهج، وهي آثارٌ مدمرةٌ قد تلازمها طوال العمر وتنعكس على نظرتها إلى الجنس وإلى الزواج والرجال عمومًا.

هنا قد يردّ المسلم بطرح سؤال: ولكن مهما كان اعتراض البعض على تشريعات الزواج في الإسلام، فالدِين على الأقل يضع إطارًا شرعيًا للعلاقة، وألا يظل هذا أفضل مجراحل من الزنا أو الفوضى الجنسية؟

يتبع في الحلقة القادمة..





## رحلة الرافدين الحلقة الثالثة: نهوض سومر الأخير وضعود بابل



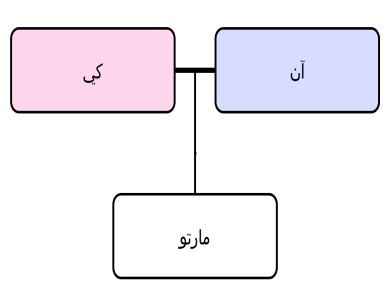
Mohammed Waleed

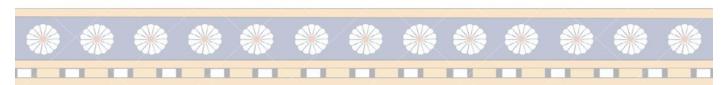
نشد الرحال في رحلةٍ على ضفاف نهر الزمن والقرون وصولًا إلى المنابع الأولى الموغلة في القدم في محاولةٍ منا لِمَلْئ جرّتنا، ومن معين ذاك الزلال القديم نسبر تراث بلاد الرافدين وأساطيرها القديمة بكل ما تحمله من صورٍ وأقاصيصَ تروي لنا حكاياتٍ عن الخوف والرغبة والحلم والمعنى في التراث الإنساني، عندما كانت البشرية والحضارة بل وحتى اللغة لا تزال في مهدها الأول.

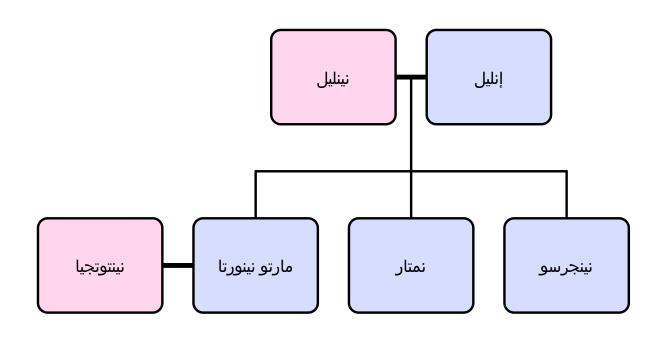




نواصل في الحلقة الثالثة من رحلتنا في بلاد الرافدين مع الشطر الثاني الرئيسي من العائلة، بعد أن تكلمنا في الحلقة الماضية عن فرع انكي، سنتكلم عن الفرع الآخر من الآلهة المنحدرة من الإله آن، متمثلاً في إنليل وزوجته نينليل، وكان يعتبر إنليل الإله الرئيس في مجمع الآلهة السومري لكن دوره أصبح أقل فيما بعد، نتيجة لبروز مردوخ واشور في الدول التي أعقبت سومر، ومن أهم أبناء إنليل ونينليل، إله القدر والنصيب غتار، ونينورتا إله الخصب والقتال. وسوف نعرج أيضاً على إله البدو مارتو، وهو يعتبر ابن للإله تعرم أيضاً على إله البدو مارتو، وهو يعتبر ابن للإله قدم لهم داخل المدن.







## رحلة الرافدين نهوض سومر الأخير وصعود بابل

استطاع أتوخنجال أحد حكام أوروك أن يهد الطريق لحكم السلالة الثالثة في أور بعد أن طرد الغزاة المحتلين، وحكمت هذه السلالة من عام 2050 ق.م حتى عام 1960 ق.م، وعُرف هذا العصر باسم عصر النهضة السومرية وقد امتدت حدود الدولة السومرية الجديدة حتى شملت مساحةً تقارب مساحة العراق اليوم بما في ذلك مدينة سوسة العيلامية، ولا نبالغ إذا قلنا أن التأثير الديني والروحي للشعب السومري على الدول المجاورة مدين بالفضل إلى عصر ملوك السلالة الثالثة في أور.

وقد تكاتفت عوامل عدةٌ أدت إلى انهيار صرح الدولة السومرية المركزية، منها تمرد بعض الحكام المحليين وأخيرًا الهجوم الساحق الذي شنه العيلاميون، وتوالي هجرات القبائل السامية دون انقطاع والتي أدت إلى تأسيس إماراتٍ محليةٍ جديدةٍ كان أشهرها مدينة إيسن، وبدأ التنافس على أشده بين الدويلات البابلية العديدة لانتزاع السلطة حتى جاء حمورايي 1687-1728 قبل الميلاد فوضع حدًّا لهذه الصراعات، وجمع شتات دول المدن الرافدية تحت حكم إدارةٍ مركزيةٍ قويةٍ جعل عاصمتها بابل صمدت عشرات السنين. ولقد تضعضعت الدولة البابلية الأولى بدخول الملك الحثي مورشيلي الأول إلى العاصمة بابل عام 1531 قبل الميلاد، إلا أن حكمه لم يعمّر طويلًا حيث استلم الكشيون الحكم واستطاعوا الاستمرار في الحكم حتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهم شعبٌ منحدرٌ من الجبال الإيرانية.









ويعني اسمه في اللغة السومرية السيد نسيم ويحافظ على اسمه في اللغة الأكادية بلفظه السومري، وقد يلفظ الليل أيضًا، وانتقل إلى الآداب اليونانية باسم اللينوس.

عُرف إنليل كإلهٍ رئيسٍ في مجمع الآلهة السومري قبل عصر كتابات فارا، وورد اسمه في نصوصٍ من عصر جمدة نصر، وكان يظهر في البداية إلى جانب والده آن ثم ما لبث أن حل محله، وزوجته هي الإلهة نينليل، أو الإلهة الأم التي تبرز خاصةً في نصوص العصر البابلي القديم، وتعدّد قوائم أسماء الآلهة عددًا كبيرًا من الآلهة الأصول سلفًا له، وأننا لنستغرب تجاهل ملحمة التكوين الأكادية ذكر اسمه حين سرّدها لسلالات الآلهة، ولكن هذا لا يشكل قاعدةً، إذ أن الملحمة الأكادية تريد أن تبرز دور مردوخ الهام وتفوقه على بقية الآلهة.

# رحلة الرافدين في وصعود بابل في وصعود بابل

ومن أولاد إنليل، نينورتا وننجرسو وكلاهما مشابه للآخر، وإله القمر ونرجال ونمتار وإله الطقس، وبعض الروايات تزعم أن إله الطقس هو ابن آن.

بالروايات تزعم أن إله جال، ويعني جبلٌ كبيرٌ، حته بالنسبة إلى أصول استرجعنا اسم معبده لله ومن ألقابه أيضًا نونا بايضًا بسيد كل البلاد لن إنليل على مقدرات لا نافذةٌ لا رادٌ لها، وسيّد لله في مرتبته سوى إنكي لله السفلي، ويرد ترتيبه موعة الآلهة الثلاثية أو

يوصف في المدائح الإلهية السومرية كورجال، ويعني جبلٌ كبيرً، ويصعب علينا فهم هذا اللقب ومدى صحته بالنسبة إلى أصول هذا الإله، ولكن يصبح أكثر وضوحًا، إذا ما استرجعنا اسم معبده الرئيس إكور في نفر والذي يعني بيت الجبل، ومن ألقابه أيضًا نونا منير والذي يعني تقريبًا ذو الشأن، ويلقب أيضًا بسيد كل البلاد وأب الآلهة قبل العصر السرجوني، ويهيمن إنليل على مقدرات المخلوقات فهو سيد القدر والمصائر وكلمته نافذةٌ لا رادّ لها، وسيّد اجتماع الآلهة، وصاحب ألواح القدر حسب التقاليد الأكادية، ولا يصل من الآلهة إلى مصافيه ويعادله في مرتبته سوى إنكي والإلهة الأم وأنانا و إريشكيجال إلهة العالم السفلي، ويرد ترتيبه في النصوص السومرية والأكادية مع مجموعة الآلهة الثلاثية أو الرباعية) آن، إنليل، الإلهة الأم).

وغالبًا ما يحج عددٌ كبيرٌ من الآلهة إلى مقره في نَفَر سنويًا ليتسلموا منه البركات والخير لحكام مدنهم، والخصب للحيوانات والحقول، حتى أن الإله إنكي نفسه يسافر إليه ويطلعه على بناء معبده في إريدو، ويدعوه إلى حفل طعامٍ مع بقية الآلهة، وهنا يسمى إنكي إنليل والده، إلا أن هذه التسمية مجازيةٌ عاريةٌ عن الصحة.

وفي أسطورة المعول يوصف إنليل بمنظم الكون منذ البدء، فهو الذي فصل السماء عن الأرض عندما كانتا كلًا واحدًا، وخلق المعول ليكون أداة عملٍ في يد الناس، وهو الذي ينصّب الحكام والملوك على عروشهم.

وفي أسطورة إنليل ونينليل، يغتصب إنليل الإلهة الشابة نينليل فتجتمع الآلهة لمحاكمته، وتقرر طرده من مدينة نَفَر، وفي قصة الطوفان تمنع عشتار إنليل من الوصول إلى الأضاحي.

هذه الأمثلة وغيرها شواهدُ صارخةٌ على أن إنليل لم تكن لديه الحصانة المطلقة، ويمكن النيل منه، والحط من قدره في كل وقت، ونحن نعرف أن إنليل كان يعمل بإمرة آن في الروايات السومرية.

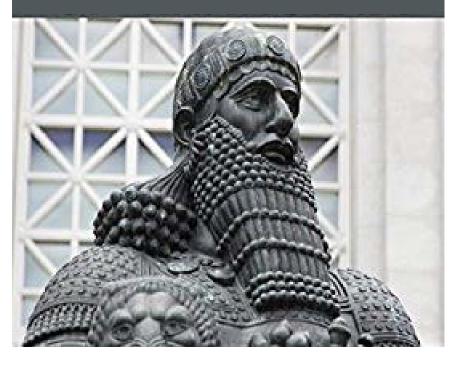
# رحله الرافدين نهوض سومر الأخير وصعود بابل

ويعلن حمورابي في مقدمة شريعته أن آن في مرثية دمار أور السومرية.

#### ومردوخ زوداه بالإنليلية ليسوس البشر بها، وتجري الأمور متشابهةً في الدولة الآشورية حيث يلقب إله الدولة القومى بإنليل الآشوري مثل مردوخ في الدولة البابلية، ويلقب الاثنان في دولتيهما بإنليل الآلهة. وإذا كان اسم إنليل يعني في السومرية الهواء والريح، ويُرمز له مثل إله الطقس بالثور البري أو بالصاعقة فهذا يعنى أنه كان في الأصل يجسد قوى الطبيعة التي تجد أفضل تعبيرِ لها في شكل الرياح والعواصف، وبفضل صفاته هذه كان يَصْب جام غضبه على شكل صواعق على أعداء الدولة البابلية، وحتى المدن البابلية نفسها ليست في منجًى من سخطه ولؤمه، فالإلهة نينجال تُحمّله مع آن مسؤولية تدمير مدينتها أور

وعادةً يرمى إنليل أعداءه بشبكة صيدِ ثم يصرعهم بسلاحه داخل الشبكة، وغالبًا ما تُصوّره النصوص الأكادية إلهًا معاديًا للبشر مثل آن، فهو سبب الطوفان في ملحمة التكوين، والمصائب في أسطورة أترحاسيس وهو الذى يلاحق جلجامش وأنكيدو بالنكبات لقتلهما حارس غابات الأرز في اللوح السابع من ملحمة جلجامش، وعلى العكس من ذلك يصوره نشيد الآلهة السومري صديقًا ومحبًا للإنسان.

## شريعة حمورابي











نمتار

اسمٌ سومريّ يعني الشيء الذي يُقتطع، ويعني أيضًا القدر أو النصيب، وصاحب هذا الاسم هو الإله الذي يجسد قدر الإنسان ونصيبه في الحياة، ويقوم بدور سفير إله الموت إريشكيجال، وهو وفق نصوص تعاويذ عفاريت أوتوكو الشريرة ابن الإله إنليل، وزوجته هي خوش بيشا في الرواية السومرية ومتارتو في الرواية الأكادية.

وغتار في كِلا التصورين السومري والأكادي إله غير محبوب يجثم فوق رقاب البشر منتظرًا إشارة إلهة الموت لانتزاع أرواحهم وإخماد أنفاسهم، ويظهر في أسطورة رؤية العالم السفلي عفريتا مستلًّا سيفًا بيده وقابضًا شعر رأس أحد ضحاياه باليد الأخرى.

PAIZO PUBLISHING | 2013

35

MAXPAINT.

## نينجرسو

يعني اسم هذا الإله في اللغة السومرية سيد جرسو، ويُذكر ضمن أسماء آلهة مقاطعة لجش في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في فارا، وزوجته هي الإلهة بابا، وأخته نيسابا وأبوه إنليل، ويحمل لقب بطل إنليل الجبار.

يعتقد أن نينجرسو كان مشابهًا في وظائفه للإله نينورتا منذ القديم، وعُرف في مركز عبادته في لجش باللقب سيد جرسو، والإلهان لا يتشابهان في سلسلة أنسابهما فقط بل في ظواهرهما أيضًا، وتذكرهما قوائم أسماء الآلهة معا، ويشارك نينجرسو الإله نينورتا في ظاهرتين أساسيتين، فهو أولًا إله الخصب والنمو ويلقب بسيد الحقول ومزارع حقول إنليل الذي يسهر على أمن واستقرار النظام في الحقل والقناة، وثانيًا هو إله المعارك والقتال.

وأهم مصدرٍ من مصادر معارفنا عنه قصيدة تقريظ في تجديد بناء معبد إنينو في لجش حوالي ٢١٠٠ قبل الميلاد، والتي تصفه بكاهن آن للاغتسالات المقدسة وتُشبّهه في عدله بالإله ساتران، ويظهر في حلم كوديا بجناحي الطائر إمدوكود على شكل زوبعة، ويُرمز اليه بإمدوكود الذي هو على شكل نسر برأس أسد.

وتشير قصيدة كوديا بطرف خفيً إلى أسطورة يقتل فيها إمدوكود عددًا كبيرًا من الكائنات الخرافية مثل الكبش البري ذي الرؤوس الستة والأسد ذي الرؤوس السبعة والتنين الصالح والأسد مرعب الآلهة. ويقوم الإله نينورتا بنفس الدور في رواية أسطورية أخرى، ولكن هذه الرواية تضيف الطائر الخرافي إمدوكود إلى جملة الكائنات الأخرى التي يقضي عليها الإله.



وتشير بعض النصوص إلى حفل زواج نينجرسو بالإلهة بابا وتتحدث نصوصٌ أخرى عن رحلته إلى مدينة إريدو، ويقوم ننجرسو بقتل طائر العاصفة زو الخرافي في الرواية الأكادية في حين تذكر نصوص الأسطورة في عهدٍ أحدث الإله نينورتا على أنه هو البطل الذي استطاع أن يقضي عليه.

# رحلة الرافدين المعود بابل نهوض سومر الأخير وصعود بابل

# نينورتا

إله سومري يعني اسمه سيد الأرض، تسرب الى الديانة الأكادية وحافظ على شكل اسمه السومري، وهو ابن الإله إنليل وشاركه في أماكن عبادته في مدينة نَفَر، وزوجته هي إلهة الشفاء جولا أو مساويتها في المرتبة الإلهة بابا زوجة الإله نينجرسو.

والإلهان نينورتا ونينجرسو ظاهرتان تجسدان مفهوم إله واحد في الأصل، فكلاهما من شجرة نسب واحدة ويقومان بعمل واحد فكل منهما هو إله خصب وإله قتال.

ويجسد نينورتا الخصوبة في أقدم مظاهره حيث تمتدحه القصائد السومرية بأنه جعل زرائب قطعان الماشية خصبة ومنح الحقول وأحواض السمك بركاته، وهو فلاح أبيه إنليل وفي المراجع الأدبية المتعلقة بشؤون الحكمة يعظ نينورتا ابنه الفلاح، ويعلمه السلوب زراعة الحقول المختلفة وطريقة التعامل معها، مما تقدم نستنتج أن نينورتا كان في الأصل إله خصوبة وجني المحصولات، أما شخصيته القتالية فقد اكتسبها في وقت لاحق، عندما بدأت شعوب جبلية بتهديد أمن واستقرار الدولة البابلية، وفي شخصيته العربية القتالية هذه لا يستخدم نفوذه إطلاقا ضد شعبه مثل أبيه إنليل، وإنما يصب جام غضبه على الأعداء المغيرين.





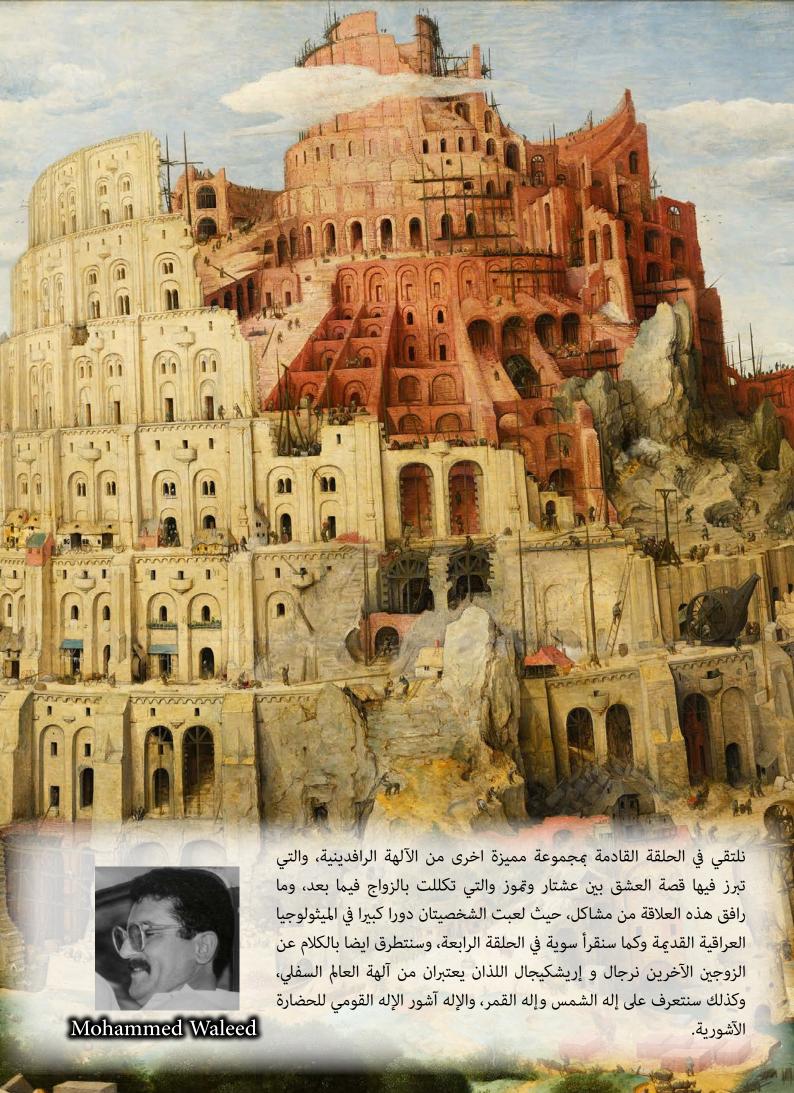
# رحلة الرافدين المناف ال

نينتينوجا

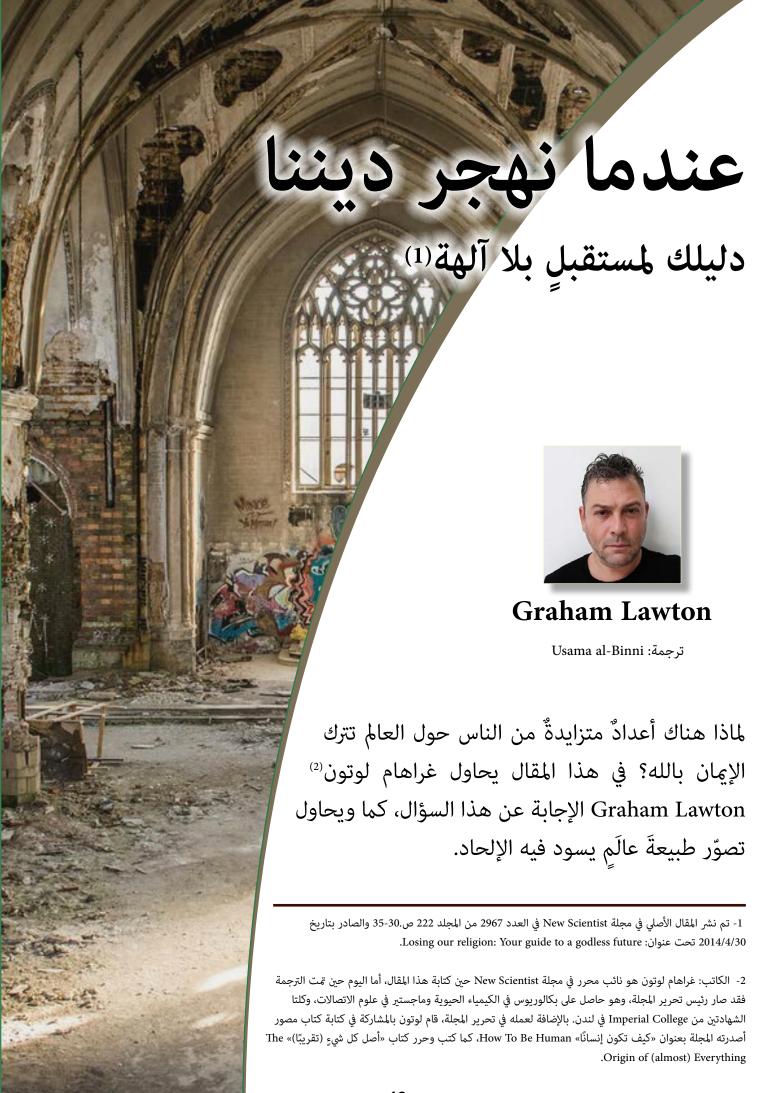


ويعني اسمها في اللغة السومرية السيدة التي تُحْيي الميّت، وهي ابنة الإله آن وزوجة الإله نينورتا، وهي الإلهة الوحيدة من كل آلهات الشفاء التي يشير اسمها صراحةً إلى وظيفتها الطبية

وتُذكر هذه الإلهة في نصوص فارا حوالي 2600 قبل الميلاد، وتحتل مرتبة جولا ونينسينا بعد العصر البابلي القديم.









#### تھید:



يناقش المقال انحسار الدين في القرن الواحد والعشرين، ويُغطّي مواضيع تشمل (تجمّع الأحد) Sunday Assembly، والذي يُعرف بكنيسة إنجلترا اللادينية، والتي تحتفي بالحياة، إضافةً إلى اللادينيين (من هم بدون دين) nones باعتبارهم اللادينيين (من هم بدون دين) العالم بحسب الكاتب، أسرع فئة دينية انتشارًا في العالم بحسب الكاتب، ويتحدث المقال كذلك عن العوامل المساهمة في نزعة العلمنة المقال كذلك عن العوامل المساهمة في اليوم، كما يناقش المقال أيضًا أسباب الإيمان بالله، والإيمان الديني في ظل نظرية المنتجات الإدراكية الثانوية cognitive by-product theory في علم النفس، كما يتضمن تعليقاتٍ من عالم النفس آرا النفس، كما يتضمن تعليقاتٍ من عالم النفس آرا فورنزايان من جامعة كولومبيا البريطانية في مدينة فانكوڤر الكندية حول السبل والدوافع التي تؤدي الله الإلحاد.

في صبيحة يوم أحدٍ دافيً على غير العادة في لندن، فعلتُ شيئًا لم أفعله منذ ثلاثين عامًا: خرجتُ متوجّهًا إلى الكنيسة، وعلى مدى ساعةٍ ونصف الساعة قمت بالغناء والاستماع لقراءة النصوص واستمتعت بلحظاتٍ من التأمل الهادئ ووضعت شيئًا من النقود في صندوق التبرعات، وفي النهاية تناولت بعض الكعك والشاي، وغمر شعورٌ بالدف جزءًا مني هو روحي على ما أعتقد، هكذا كان حال مئات التجمعات المشابهة في أرجاء المدينة هذا الصباح، مع استثناءٍ مهم، هو: غياب الله !.





أهلًا بكم في تجمع الأحد -Sunday As وهو تجمع بلا آلهة ينعقد كلً أسبوع في قاعة كونْويه (كونويه هول) Conway Hall مقر أقدم منظمة فكر حر في العالم<sup>(3)</sup> كان عدد المجتمعين في القاعة في ذلك اليوم حوالي المئتين، لكن العدد يصل إلى ستمائة أحيانًا.

قام فنان الكوميديا ساندرسون جونز 2013م بإنشاء Jones وبيپا إڤنز Pippa Evans عام 2013م بإنشاء تجمّع الأحد لتقديم محتوى فيه نفس المزايا التي ترفع الروح المعنوية والموجودة في المراسيم الدينية ولكن دون أن تكون مصحوبة بالجوانب المتعلقة بالخوارق والغيبيات، يجدر بالذكر أن الإلحاد مستثنى بالخوارق والغيبيات، يجدر بالذكر أن الإلحاد مستثنى أيضًا من الأجندة، فالتجمع يتعلّق بالاحتفاء بالحياة وبكوننا أحياء، حيث يقول جونز: «رسالتنا تتمثّل وبكوننا أحياء، حيث يقول جونز: «رسالتنا تتمثّل طريقة ممكنة».



أمّا الهدف الأعم للتجمع فهو خلق (جماعةٌ بلا آلهةٍ في كلِّ بلدةٍ ومدينةٍ وفي كل قريةٍ تحتاجها) وثمة الكثيرون ممن يحتاجونها، فانطلاقًا من كنيسةٍ مهجورةٍ في لندن صار اليوم هنالك 28 تجمعًا ناشطًا في المملكة المتحدة وإيرلندا والولايات المتحدة وأوستراليا، وقد كرّس جونز وقته تمامًا لسدّ الحاجة لطلب المزيد من التجمعات، وهو يتوقع أن يصل عدد التجمعات المئة مع نهاية هذا العام<sup>(4)</sup>

<sup>3-</sup> يشير الكاتب هنا إلى جمعية كونويه هول الأخلاقية Conway Hall Ethical Society والتي يعود تأسيسها إلى العام 1793. [ملاحظة المترجم]

<sup>4-</sup> تهت كتابة هذا المقال عام 2014، وبالفعل تم تخطي هذا العدد. واليوم عند كتابة هذه الترجمة في العام 2017 بلغ عدد التجمعات 70 تجمّعًا بحسب الموقع الرسمي للتجمع www.sundayassembly.com، كذلك يوجد الآن تجمع موجود في مدينة كيپ تاون في جنوب أفريقيا. [ملاحظة المترجم]



انحدار الدين في استبيان عالمي تم سؤال الناس عن مدى تدينهم نرى تغييراً هائلًا على مدى سبع سنواتٍ فقط

2005

2012

يمثّل الناس الذين انضممت إليهم ذلك الأحد المشمس جزءًا بسيطًا من أسرع هوية دينية نموًا في العالم: اللادينيون (من هم بلا دين the من أسرع هوية تشمل غير المؤمنين من كافة الشرائح، بدءًا من الملحدين عن قناعة مثلي وانتهاءً بمن لا يبالون بالدين، والذين تعدّت أعدادهم حول العالم أتباع بعض الديانات الرئيسية.

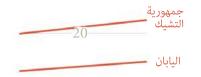
يولندا الإكوادور جنوب أفريقيا الأرجنتين إيرلندا بلغاريا ألمانيا

في لندن، اللادينيون هم بصراحة ظاهرةٌ عادية، فالمملكة المتحدة هي من أقل دول العالم تديّنًا، حيث يقول حوالي نصف(5) سكانها أنهم لا ينتمون إلى أيّ دين، أمّا في أماكن أخرى، فظهور اللادينيين وانتشارهم السريع هو أمرٌ مُبهر، فقبل عقدٍ من الزمان كان يعدُّ حوالي ثلاثة أرباع سكان العالم أنفسهم متديّنون، أمّا اليوم فتلك النسبة هي أقل من 60%،

وفي ربع الدول بات اللادينيون أغلبية، وظهر أكثر انحدارٌ للدين في الدول التي كان الدين فيها جزءًا لا يتجزأ من الحياة، مثل إيرلندا، ففي عام 2005، قال 90% من الناس هناك بأنهم متديّنون؛ أما اليوم فقد قلّ ذلك العدد إلى 47٪ فقط، كما يبيّن الشكل التوضيحي.

يقول آرا نورنزايان (٢) Ara Norenzayan: «توجد نزعة علمنة قوية تجتاح العالم، نرى ذلك بقوة في أماكن مثل دول غرب أوروپا وشمالها، وفي كندا وأوستراليا ونيوزيلندا واليابان والصين».

وحتى في الولايات المتحدة، وهي الدولة المغرقة في المسيحية، نجد أنّ عدد من يعتبرون أنفسهم بلا دين قد ارتفع من 5٪ عام 1972م إلى 20٪ اليوم، وفي صفوف من تقلّ أعمارهم عن الثلاثين نجد أنّ هذا العدد يقارب الثلث.



ردود 38 دولة على السؤال:
«بغض النظر عمّا لو كنت ترتاد دار عبادة،
هل تعتبر نفسك شخصًا متديّنًا؟»

SOURCE: WIN-GALLUP INTERNATIONAL GLOBAL INDEX OF RELIGION AND ATHEISM, 2012

0%

<sup>5-</sup> استنادًا إلى نتائج الدراسة British Social Attitudes والموثقة على موقعها الرسمي http://www.bsa-data.natcen.ac.uk.

<sup>6-</sup> المقصود باليوم هو سنة كتابة المقال: 2014. [ملاحظة المترجم]

<sup>7-</sup> هو أستاذ علم النفس في جامعة كولومبيا البريطانية في مدينة ڤانكوڤر الكندية، موقعه الرسمي موجود على العنوان التالى: https://aranorenzayan.com.

<sup>8-</sup> بحسب مركز أبحاث پيوPew Research Center. http://www.pewforum.org



هذا لا يعني أن هؤلاء قد نبذوا الدين صراحةً إذ لا تتعدى نسبة من يعتبرون أنفسهم ملحدين ملتزمين بالإلحاد حول العالم أكثر من 13٪، لكن حتى هذه النسبة تعني وجود مليار ملحدٍ في أرجاء العالم، ولا توجد دياناتٌ يتعدى عدد أتباعها هذا العدد سوى المسيحية والإسلام، ثم إضافةً إلى ذلك المليار هنالك مليارٌ ونصف المليار من الناس ممن لا يَعدّون أنفسهم متديّنين لسببِ أو لآخر.





ماكس ڤيبر

إيميل دوركهايم

#### نولد ونحن مؤمنون



فيل زوكرمن

الواقع أنّ هذا غير صحيح تمامًا، فعلى الرغم من أنّ أجزاءً كبيرةً من غرب أوروپا وأوستراليا وكندا ونيوزيلندا قد اتجهت نحو العلمانية بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنّ بقية العالم بقي مؤمنًا ورعًا، وحتى عندما تم اتّباع الإلحاد كمنهج رسمي في الكتلة الشيوعية، نرى أنّ الإلحاد لم يتغلغل فيها إلى المستوى الشعبيّ، بل بالعكس، في نهاية القرن العشرين بدا وكأن الدين يشهد انتعاشة جديدة، فنرى مَكّن الحركات المتزمّتة في أرجاء العالم، وظهور الإسلام كقوة سياسية كبيرة، وإصرار الولايات المتحدة على البقاء مجتمعًا متدينًا، وبدت أوروپا العلمانية كأنما هي شذوذٌ عن القاعدة.

أما الآن فقد عادت العَلمنة إلى الساحة، يقول فيل زوكرمن (Phil Zuck-

erman: «إنّ الدين يذوي على كل الصعد، صحيحٌ أننا نرى جيوبًا متناثرةً من ازدياد التزمت الديني، لكننا نرى في المجمل ارتفاعًا في نسب عَلمنة مجتمعاتٍ لم نشهد حدوث ذلك فيها من قبل، في أماكن كالبرازيل وإيرلندا وحتى في أفريقيا».

هل يمكن القول إذًا أن التنبؤ الذي ساد في القرن التاسع عشر بعالم لا إله فيه قد تحقق أخيرًا؟ هل من الممكن يومًا أن

9- وهو عالم اجتماع في كلية پتزر في كليرمونت بولاية كاليفورنيا الأميركية Pitzer College in Claremont: https://www.pitzer.edu/academics/faculty/zuckerman.



يَعُدّ غالبية البشر أنفسهم غير مؤمنين؟ وإن حدث ذلك بالفعل، هل سيجعل ذلك الأمر العالم مكانًا أفضل؟ للإجابة عن هذه الأسئلة علينا أن نعرف ما الذي يدفع الناس للإيمان بإلهٍ أصلًا.

يبدو جواب ذلك بديهيًا بالنسبة للكثيرين: لأن الله موجود، وسواءً أكان موجودًا أو غير موجود، فذلك الجواب يوضّح نقطةٌ هامةٌ بصدد طبيعة الإيمان الديني، إذ أنّ الإيمان بالله لغالبية الناس (لغالبية البشر على مر العصور) هو أمرٌ بديهيٌ يأتي بشكلِ تلقائي كالقدرة على التنفس أو على إتقان المرء للغته الأم.

فها سبب ذلك؟ لقد تمكن علماء الإدراك cognitive scientists في السنوات الأخيرة من التوصل إلى تصوّر شاملٍ عن تقبّل العقل البشري للأفكار الدينية (10), وذلك في إطار ما صار يُعرف لاحقًا بنظرية المنتجات الإدراكية الثانوية cognitive by-product theory، والتي تقضي بأنّ بعض الخصائص النفسية للبشر قد تطورت لأسبابٍ لا تتعلق بالدين تلعب دور الأرضية الخصبة لظهور الإله، مها يدفع الناس لتقبّل القصص والمزاعم الدينية على اعتبار أنها معقولةٌ وبديهية.



فمثلًا، بما أن أسلافنا كانوا باستمرار طرائد لحيوانات مفترسة، فقد تطورت لديهم (آلية التحسس المفرط للكشف عن وجود الفاعل) -rypersensitive agen وهو اسمٌ تقنيٌ لافتراض أنّ الأحداث المحيطة بنا تسببها كائناتٌ واعية، وهذا أمرٌ معقول من الناحية التطورية: فعند سماع حفيف أوراق الشجر، يكون من الأسلم أن يعتقد المرء أن ذلك الصوت سببه مفترسٌ متربص، فحتى لو أخطأ يكون ذلك الخطأ من قبيل الحذر، لكن هذا يُعطي يكون ذلك الخطأ من قبيل الحذر، لكن هذا يُعطي المرء استعدادًا لافتراض وجود فاعلٍ في أوقاتٍ لا فاعل فيها، وهذا طبعًا يمثل زعمًا مركزيًا في أغلب الأديان: أن هنالك فاعلًا خفيًا مسؤولٌ عن فعل أمورٍ وخلق أشياء في هذا العالم.



# راحةٌ وجودية

لقد تطورت لدى البشر خصائص أخرى تشجّع على انتشار المعتقدات الدينية، ففكرة الإله الخيّر، ووجود حكمةٌ من حدوث الأشياء، والحياة ما بعد الموت على سبيل المثال، هي كلها أفكارٌ تساعد الناس على التعامل مع الخوف الوجودي وغياب اليقين، والتي تمثل أجزاءً أساسيةً من حياة الكائن البشري.

كذلك، نرى لدينا مَيلًا لتقليد الأشخاص ذوي الشأن (نرى ذلك في عصرنا في ظاهرة الإعجاب بالمشاهير مثلًا)، وميلًا للتماشي مع الأعراف الاجتماعية، وهما ميلان يساهمان في نشر وتعزيز الإيمان، وتؤثر علينا بالأخص ما يسميها علماء الاجتماع (الاستعراضات المعزّزة للمصداقية) credibility enhancing displays CREDs، وهي استعراضاتٌ مبهرةٌ تُظهر الإيمان بشكلِ علني، كالصوم والجلد الذاتي والاستشهاد.

ونضيف إلى ذلك نقطةً أخيرة، وهي أنّ من يشعر بأنه مراقبٌ سيُحسن التصرف ويتعاون أكثر، فالمجتمعات التي بنت نفسها على فكرة وجود مراقبةٍ خارقةٍ للطبيعة كانت أكثر نجاحًا من تلك التي لم تستعمل تلك الفكرة، مما أدّى إلى زيادة انتشار الدين.

وعند وضع هذه العوامل معًا، نرى أن أسلوب عمل عقولنا يجعلنا مُتقبِلين تلقائيًا للأفكار الدينية بشكلٍ يجعل من اكتساب تلك الأفكار واتباعها عند التعرض لها أمرًا عالي الاحتمال، فبعد أن اكتشف البشر فكرة الإله انتشرت كالنار في الهشيم.

إن نظرية المنتجات الإدراكية الثانوية هي تصوّرٌ ناجحٌ جدًا لتفسير انجذاب البشر نحو الأفكار الدينية، لكنها استعملت على المسألة المضادة أيضًا: لو كان الإيمان بالله سهلًا إلى هذا الحد، فكيف نفسر وجود الملحدين؟

حتى عهدٍ قريب، ساد اعتقادٌ أن الناس يتوصّلون إلى الإلحاد كنتيجةٍ للتفكير: فبعد تحليل المرء لادّعاءات الدين، يرفضها من منطلق أنها غير معقولة، وقد ساهم هذا في تفسير كون الإلحاد مسعىً يقوم به المتعلمون، وأن الدين هو السائد والأكثر دوامًا، فالتغلب على كل تحيّزاتنا التي أورثنا إياها التطور والاستمرار على ذلك هي أمورٌ تحتاج جهدًا إدراكيًا كبيرًا.

من المفروغ منه أن هذا (الإلحاد التحليلي) analytical atheism عِثّل طريقًا مهمًا لترك الدين وعكنه تفسير بعضًا من الزيادة الأخيرة في العلمانية، وهو يزدهر حيث يتعرض الناس للعلم وغيره من أنظمة التفكير التحليلي، لكنه ليس النوع الوحيد الموجود من اللادين، ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، نجد أنه من ضمن الـ20٪ ممن يقولون أنهم لا يتبعون أي دين، يوجد واحد من عشرة ممن قالوا أنهم ملحدون، أمّا الغالبية العظمى والتي تبلغ 17٪ فقد قالوا إنهم لا يصنّفون أنفسهم تحت أية فئة محددة.



يقول نورنزايان: «هنالك طرقٌ عديدةٌ ودوافع متنوعةٌ تؤدي إلى جعل المرء ملحدًا، فعدم الإيمان لا يتطلب دومًا من المرء أن يبذل جهدًا إدراكيًا عاليًا.»

فإن لم يكن معظم من يرفضون الدين يرفضونه صراحةً، فما الذي يؤدي بهم إلى هجر الله؟ يكمن الجواب بالنسبة لنورنزايان في بعض التحيّزات النفسية الأخرى التي تجعل الأفكار الدينية سهلة الهضم، ومن أبرز دوافع هجر الله أن الناس لم يعودوا يحتاجون الراحة التي يقدّمها الإيمان بالله، إذ أنّ الدين يزدهر بسبب (القلق الوجودي): حينما يشعر الناس بانعدام الأمان أو اليقين، فيأتي الدين ويقدم الراحة والأمان، ولكن، بتقدم المجتمعات وزيادة ازدهارها المادي واستقرارها، تقلّ أهمية دور الدين في توفير ذلك الأمان.

وعلى هذا الأساس، فليس من المستغرب أنّ الدول الأقل تديّنًا هي أكثرها أمانًا، فالدنمارك والسويد والنرويج على سبيل المثال تعتبر باستمرار أقل الدول تديّنًا، كما أنها أكثر الدول ازدهارًا وثباتًا وأمانًا، تنعم بنظامٍ صحيٍ للجميع وضمانٍ اجتماعيٍ كريم.

بالمقارنة، نرى أن أكثر دول العالم تديّنًا هي أشدّها فقرًا، وحتى في داخل الدولة الواحدة نجد أن الشرائح الأكثر فقرًا في المجتمع هي أشدّها تديّنًا، وذلك بحسب المؤشر العالمي للدين والإلحاد

.Global Index of Religion and Atheism

وتؤكد هذا الربط دراساتٌ مخبريةٌ تُبين أنّ جعل المرء يشعر بوجود أخطارٍ وجوديةٍ كالألم والعشوائية والموت يُعزّز إيمانه بالله مؤقتًا، ويبدو أنّ هذا ينطبق أيضًا في العالم الواقعي خارج المختبر فبعد الهزة الأرضية التي ضربت كرايسترتش في نيوزيلندا Christchurch in New Zealan نرى زيادةً في الالتزام الديني في تلك الدولة الآمنة المستقرة التي ترتبط عادةً بنسب تديّنِ متدنيّة (11).

ويسمي نورنزايان نوع الإلحاد الذي يسود في تلك المناطق باسم الإلحاد اللااكتراثي (12)، فيقول: «ذلك الإلحاد لا يتعلق بالشك، وإنما بانعدام الاهتمام، عندما لا يهتم الناس بالدين، ورغم أن ذلك يبدو غير بديهي، إلا أنّ الإلحاد اللااكتراثي قد يُفسّر قوة الدين في الولايات المتحدة، فمقارنةً بدولٍ غنيةٍ أخرى، نجد مستوياتٍ عاليةً من القلق الوجودي existential في الولايات المتحدة، فانعدام الرعاية الصحية للجميع، وشيوع عدم الاستقرار في سوق العمل، وضعف شبكة الأمان الاجتماعي تخلق ظروفًا خصبةً لازدهار الدين».

Sibley C, Bulbulia J, Faith after an Earthquake: A Longitudinal Study of Religion and Perceived Health before and after the 2011 - راجع: (Christchurch New Zealand Earthquake, PLoS ONE, vol. 7, issue 12 (2012)

<sup>12-</sup> راجع مقال Let it be على موقع مجلة The Atlantic، عدد أيار 2003، للكاتب جوناثان راوتش Jonathan Rauch.



هنالك مصدرٌ هامٌّ آخر للادين وهو «الإلحاد المعزول عن الاستعراضات المعززة للمصداقية» Incredulous Atheism، فيقول نورنزايان بصددها: «تؤثر هذه الاستعراضات بشكلٍ قوي على طريقة انتشار الدين، فنرى مثلًا أن استعداد البعض للموت في سبيل معتقداتهم يصبح أمرًا مُعْديًا، وعندما لا يرى الناسُ هذه الاستعراضات المُبهرة، حتى لو كانوا محاطين بمن يزعمون أنهم مؤمنون فإن هنالك أدلّةٌ على أن هذا يؤدي إلى أفول الدين».

لا زال على نورنزايان أن يعمل على فهم ومقارنة أهمية هذه الطرق المختلفة التي تؤدي إلى الإلحاد، ذلك أنها جزئيًا تدعّم بعضها البعض، لكن حدسه يقول أن الإلحاد اللااكتراثي هو الأهم: «هذا على الأرجح، أمرٌ سيفاجئ العديد من الناس ممن يعتقدون أن الوصول إلى الإلحاد يتم عبر تفكيرٍ تحليلي، لكنني أرى دلائل قويةً على أنّ المجتمع إذا ما زادت فيه نسبة المساواة وتواجدت فيه شبكات الأمن الاجتماعي، فإن العلمنة ستتبع».

يرى بعض أنصار الدين أن هذا الأمر يدل على أن غالبية اللادينيين ليسوا في الواقع ملحدين أصلًا، وهو زعمٌ دعمته مؤخرًا دراسةٌ مسحيةٌ قام فيها مركز ثيوس Theos المسيحي للأبحاث في المملكة المتحدة (13), حيث وجدت تلك الدراسة أنه على الرغم من انحسار الدين بمعناه التقليدي في المملكة المتحدة، فإنّ المعتقدات الروحانية لم تنحسر  $^{(14)}$ , ذلك أن  $^{(14)}$  من البالغين المشاركين في الدراسة يؤمنون بقوةٍ عليا من نوعٍ ما أو بكائنٍ روحاني، في حين وافق 13٪ فقط مع القول بأن «البشر ليسوا أكثر من كائناتٍ مادية دونما أي عنصرِ روحاني».

هنالك علماء ذهبوا إلى القول بأنّ الإلحاد مستحيلٌ من الناحية النفسية بسبب طبيعة تفكير البشر، ومن أهم هؤلاء پاسكال بوير Pascal Boyer من جامعة واشنطن في سينت لويس Washington University in St. Louis، وهم بذلك يشيرون إلى دراساتٍ مفادها أنه حتى من يقولون إنهم ملحدون يؤمنون ضمنًا معتقداتٍ دينية، كالإيمان بوجود روحٍ خالدة.

أما بالنسبة لنورنزايان فكل هذا لا يعدو أن يكون أختلافات لغوية: «لا تعنيني التصنيفات بقدر ما تعنيني التأثيرات النفسية والسلوك، هل يقول الناس أنهم يؤمنون بالله؟ هل يرتادون الكنيسة أو الكنيس أو المسجد؟ هل يصلّون؟ هل يجدون معنىً في الدين؟ هذه هي المتغيّرات التي يفترض أن تشغلنا» طبقًا لهذه المعايير، فإنّ غالبية اللادينيين هم بالفعل غير مؤمنين، مما يعني أنّ دوام الإلحاد وانتشاره في الواقع هو أكبر مما لو كان الطريق الوحيد إلى الإلحاد يتمثل برفضٍ صريح للأفكار الدينية.



پاسکال بویر



يرى بعض أنصار الدين أن هذا الأمر يدل على أن غالبية اللادينين ليسوا في الواقع ملحدين أصلًا، وهو زعمٌ دعمته مؤخرًا دراسةٌ مسحيةٌ قام فيها مركز ثيوس Theos المسيحي للأبحاث في المملكة المتحدة (13)، حيث وجدت تلك الدراسة أنه على الرغم من انحسار الدين بمعناه التقليدي في المملكة المتحدة، فإنّ المعتقدات الروحانية لم تنحسر (14)، ذلك أن 300 من البالغين المشاركين في الدراسة يؤمنون بقوةٍ عليا من نوعٍ ما أو بكائنٍ روحاني، في حين وافق 13٪ فقط مع القول بأن «البشر ليسوا أكثر من كائناتٍ مادية دونها أي عنصر روحاني».

هنالك علماء ذهبوا إلى القول بأنّ الإلحاد مستحيلٌ من الناحية النفسية بسبب طبيعة تفكير البشر، ومن أهم هؤلاء پاسكال بوير Pascal Boyer من جامعة واشنطن في سينت لويس Washington University in St. Louis، وهم بذلك يشيرون إلى دراساتٍ مفادها أنه حتى من يقولون إنهم ملحدون يؤمنون ضمنًا بمعتقداتٍ دينية، كالإيمان بوجود روح خالدة.

أما بالنسبة لنورنزايان فكل هذا لا يعدو أن يكون أختلافات لغوية: «لا تعنيني التصنيفات بقدر ما تعنيني التأثيرات النفسية والسلوك، هل يقول الناس أنهم يؤمنون بالله؟ هل يرتادون الكنيسة أو الكنيس أو المسجد؟ هل يصلّون؟ هل يجدون معنى في الدين؟ هذه هي المتغيّرات التي يفترض أن تشغلنا» طبقًا لهذه المعايير، فإنّ غالبية اللادينيين هم بالفعل غير مؤمنين، مما يعني أنّ دوام الإلحاد وانتشاره في الواقع هو أكبر مما لو كان الطريق الوحيد إلى الإلحاد يتمثل برفضٍ صريحِ للأفكار الدينية.



### اللادينيون مطاردون

هل ستستمر هذه النزعة؟

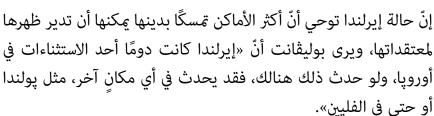
ظاهريًا لا يبدو ذلك محتملًا، فلو كانت اللادينية تزدهر حيث ينعم الناس بالاستقرار والازدهار، فإن التغير المناخي والمشاكل البيئية قد تؤدي إلى تباطؤ كبير في انتشار الإلحاد، يقول نورنزايان حول ذلك: «لو حلّت كارثةٌ طبيعيةٌ كبيرة، فأتوقع ظهور الدين مجددًا، حتى في المجتمعات العلمانية، ومثال ذلك ما حدث في الهزة التي وقعت في كرايستشرتش».

<sup>13-</sup> انظر موقع المركز: http://www.theosthinktank.co.uk/

<sup>14-</sup> الدراسة موجودة على مركز موقع ثيوس تحت عنوان The Spirit of Things Unseen: belief in post-religious Britain



كذلك، فمن غير الواضح ما إذا كان من الممكن استنساخ نموذج العلمنة الأوروپية وإعادة تطبيقه في مكانٍ آخر، يقول ستيڤن بوليڤانت (15): «إنّ الدرب الذي يسلكه أي بلدٍ هو أمرٌ عَرضي، وتوجد هنالك استثناءات، لكن ثمّة اتفاقٌ شائع أنّه إن استمر تقدم الازدهار والأمان والديموقراطية، فإنّ العَلمنة ستتبع ذلك على الأرجح» أمّا مايكل نيوجنت (16) فيقول: «لقد تقاطع تحوّل إيرلندا إلى اللادين مع ازدهارها الاقتصادي، ومن حسن الحظ أننا لا نرى ارتدادًا إلى الدين في إيرلندا رغم المشاكل الاقتصادية الأخيرة، مما يوحي أن من الصعب إيقاف العلمنة حالما تنطلق».



ثم هنالك حالة الولايات المتحدة التي تبدو أنها تتجه بعيدًا عن الله، فقد كان اللادينيون فيها أسرع المجموعات الدينية غوًا على مدى العشرين سنة الماضية، لا سيما في صفوف صغار السن من الراشدين، ولعل أحد تفسيرات الأمر تتعلق بإحدى العرضيات التاريخية، ألا وهي الحرب الباردة، فعلى مدى عقود، عرّف الأميركيون أنفسهم كمقابل للشيوعيين، حيث كان يُنظر إلى الإلحاد كموقفٍ غير وطني، لكن الجيل الذي نشأ بعد سقوط جدار برلين عام 1989 هو أكثر الأجيال لادينيةً في تاريخ أميركا.



ستيڤن بوليڤانت



مايكل نيوجنت

ومن الجدير بالاهتمام ارتداد روسيا في الاتجاه المعاكس بعد أنقضاء الحرب الباردة، ففي عام 1991 عرّف 60% من الروس أنفسهم كلادينين؛ وبحلول العام 2008 انخفض هذا العدد إلى 18%، ولكن حتى الروس يبدو أنهم انضموا لنزعة العلمنة الأخيرة، إذ بحسب المؤشر العالمي للدين والإلحاد Global Index of Religion and Atheism، فإن 55% فقط من الروس الذين تم سؤالهم اعتبروا أنفسهم متدينون (17).

<sup>15-</sup> هو لاهوتي في جامعة القديسة ماري البريطانية ومحرر مشارك في دليل أوكسفورد في الإلحاد The Oxford Handbook of Atheism.

<sup>16-</sup> رئيس إدارة ملحدي إيرلندا Atheist Ireland. انظر موقعهم الرسمى: atheist.ie.

<sup>17-</sup> انظر الدراسة الموجودة على موقع مركز پيو للأبحاث www.pewforum.org بهذا الصدد تحت عنوان www.pewforum.org المنشورة بتاريخ 2014/2/10.



يعتقد بوليڤانت أن نزعة العلمنة ستستمر لسبب آخر وهو أنّ الدين يتم توريثه من جيلٍ لآخر: «إنّ أقوى مؤشرٍ يساعد على التنبؤ فيما لو كان المرء سيكبر متديّنًا هو لو كان أبواه متدينين، فالطفل ذي الأبوين المتدينين بشكلٍ فاعلٍ لديه نسبة ٪50 لأن يتبع خطاهم، أمّا الطفل ذي الأبوين غير المتدينين فنسبة تدينه عندما يكبر هي حوالي ٪3، فمن ناحية الحفاظ على أعدادهم، نرى أن اللادينيين ناجحون جدًا في ذلك، وإنه لأمرٌ بالغ الغرابة أن ينشأ شخصٌ في بيتٍ لاديني ثم ينتمي لدينٍ ما عندما يكبر» في المملكة المتحدة نجد أنّ هنالك شخصٌ واحدٌ ينضم للكنيسة الكاثوليكية مقابل كل عشرة أشخاص يتركونها، ويكون ذلك عادةً شخصٌ انتقل من طائفةٍ مسيحيةٍ لأخرى.

ويشير بوليقانت أنّ نزعات التدين تَثبت لدى المرء ببلوغه منتصف العقد الثاني من العمر، مها يعني أن 30٪ تقريبًا من الشباب في أميركا ممن لا ينتمون إلى أيّ دين لن يغيروا رأيهم على الأرجح مع تقدمهم في العمر، ومن المرجح أنّهم سيورثون لادينهم لأطفالهم، ويضيف قائلًا: «إنّ مجرد وجود مجموعةٍ كهذه، مجموعة كبيرةٌ جدًا لم تكن موجودةٌ قبل ذك هو مدلولٌ على العلمنة».

أمّا نورنزايان فيقول ردًا على سؤال: ماذا لو كان من الممكن للعالم أن يتخلى حقًا عن الله: «أعتقد أنّ ذلك ممكن، لأننا نراه يحدث بالفعل».

#### كيف سيبدو العالم بلا آلهة حقًا؟

أحد أكثر ما يقلق الكثيرين عادةً هو اعتقادهم أنّ الدين هو الصمغ الأخلاقي الذي يبقي المجتمع متماسكًا، وأنّ التخلص منه سيؤدي إلى انهيار كل شيء، يقول زوكرمن حول ذلك: «نرى الكثيرون يتحدثون من هذا المنطلق في أميركا، بما في ذلك العلمانيون».



لكن الدلائل تشير إلى غير ذلك، قام زوكرمن عام 2009م بإجراء تحليلاً عالمياً قارن فيه نسب التدين في دول عدة بمقاييس فحصت الصحة المجتمعية وشملت: مستوى الغنى، درجة المساواة، حقوق المرأة، التحصيل التعليمي، معدل طول حياة الناس، نسب موت الرضع، نسب الحمل لدى المراهقات، نسب انشار الأمراض الجنسية السارية، نسب الجرية، نسب الانتحار ونسب جرائم القتل. فوجد أن: «أداء نسب الادول بحسب أغلب مقاييس الصحة المجتمعية يحسن مع ازدياد العلمنة». وقد وجد أنّ ذلك ينطبق على الخمسن ولاية الأمركية.

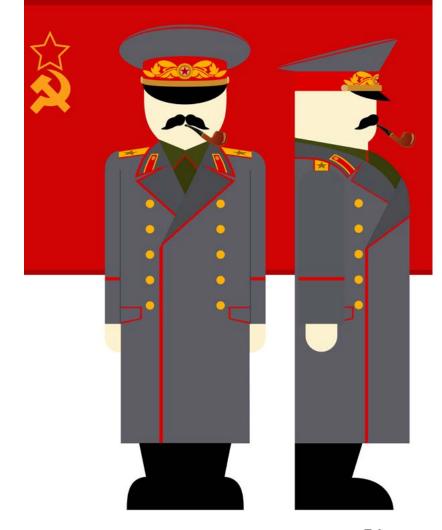


هذا لا يعني طبعًا بالضرورة أنّ العَلمنة تخلق مجتمعًا صحيحًا: فلربا كان ظهور الإلحاد اللااكترافي نتيجةً وليس سببًا، ويقول زوكرمن بصدد أن العلمنة تؤدي إلى تحسينات مجتمعية: «لكن رغم ذلك، فهذه النتيجة تدحض فكرة أن الدين ضروري حتى يكون المجتمع صحيحًا، أنا الآن أعتقد أن هنالك جوانب في النظرة العلمانية للعالم تساهم في خلق مجتمعات صحيحة: أولًا، لو كنت تؤمن أن هذا هو العالم الوحيد، وأنه ما من حياة بعد الممات، فإن ذلك سيحفزك لجعل هذا المكان على أفضل ما يمكن أن يكونه، ثانيًا، هو التأكيد على العلم والتعليم واتباع الأساليب العقلانية لحل المشاكل، والتي تأتي مرافقةً للتوجه العلماني، فعلى سبيل المثال، هل سندعو الله للقضاء على الجريمة في مدينتنا أم أننا سننظر إلى ما يسبب وجود الجريمة على أرض الواقع؟».

إن من الصعب الحديث عن الإلحاد الجماعي دون استذكار الاتحاد السوڤيتي، والخمير الحمر، وكوريا الشمالية، والعديد من الأنظمة القمعية التي حَظرت الدين، هل هنالك خطرٌ من أن عالمًا ذو غالبيةٍ علمانية سيكون أقرب إلى ستالينغراد منه إلى ستوكهولم؟

يعتقد زوكرمن أن هنالك سببٌ قويٌ للاعتقاد أنّ هذا لن يكون الحال: «أنا أميّز بشكلٍ كبير بين الإلحاد المفروض بالقوة من السلطة على يد نظامٍ دكتاتوري، والإلحاد العضوي الذي ينشأ طبيعيًا في المجتمعات الحرة، فنحن نرى بجلاء العواقب الحميدة على صحة المجتمع في هذه الأخرة».

هنالك مصدر قلقٍ مشروعٍ قد يؤثر على صحتنا المجسدية والعقلية، ففي العقدين الماضيين تم إجراء الكثير من الأبحاث المتعلقة بفوائد التدين، ونرى أن أغلب تلك الأبحاث تزعم وجود ترابط صغير بين التدين من جهة، والصحة والسعادة من جهةٍ أخرى، ويتم تفسير ذلك عادةً بأن للمتدينين أناط معيشةٍ أكثر صحة، وأنهم عتلكون شبكات دعم اجتماعيةٍ أقوى.





هذا قاد بعض الباحثين إلى القفز والاستنتاج بأنّ الدين يجلب الصحة والسعادة، مما يعني أنّ الإلحاد سيجلب على صاحبه ثمنًا سلبيًا مناظرًا، لكن الصلة بين الدين والصحة لم يتم إثباتها بالقوة التي يزعمها البعض، فقد وجد تحليلٌ تلوي meta-analysis شمل 226 من تلك الدراسات كمًا كبيرًا ((1) من المشاكل المنهجية والاستنتاجات المغلوطة، علاوةً على ذلك، فإنّ الأبحاث القليلة التي درست الصحة الجسدية والنفسية للملحدين لم تجد فرقًا بينهم وبين المتدينين، وعلى المستوى المجتمعي طبعًا، نجد أنّ زيادة الإلحاد ترتبط بصحةٍ مجتمعيةٍ أفضل.

لكنك لو اعتقدت أنّ عالَمًا ملحدًا سيكون جنةً من العقلانية والمنطق، فعليك أن تفكر مجددًا، يقول نورنزايان:

«عندما يتوقف الناس عن الإيمان بإله، فإنّ ذلك لا يعني أنهم لن يملكوا حدسًا مرتبطًا بالخوراق، فحتى في المجتمعات ذات الغالبية الملحدة نجد الكثير من المعتقدات بالخوارق، كالتنجيم، والكارما، والحياة خارج كوكب الأرض، وهي أشياءٌ لا تدعمها دلائل علمية، لكنها واضحةٌ للناس بشكلِ بديهي».

لكن هذا ليس أمرًا سيئًا بالضرورة، فيُكمل قائلًا: «علينا أن نُدرك وجود دوافع نفسية قوية تحفّز البشر نحو التدين، فلا نستطيع القول إنها مجرد خرافاتٌ علينا التخلص منها، بل علينا إيجاد حلولاً للمشاكل العميقة الجوهرية للحياة بديلةً لما يقدّمه الدين، إن تمكنت المجتمعات من إنجاز ذلك فأنا أعتقد أنّ الإلحاد سيكون بديلاً قابلاً للاستمرار».



تستطيع تجمعاتٌ لادينيةٌ كتجمع الأحد تقديم المساعدة بسدّ حاجات اللادينيين اللذين يأتون طلبًا لحِسّ الجماعة والانتماء إلى نظرةٍ أخلاقيةٍ مشتركة، كما أنها تقدم طرحًا للقيم العلمانية، وإيصال رسالةً مفادها أنّ المجتمعات اللادينية قادرةٌ على أن تكون مجتمعاتٍ صحيحة، ولو كان ثمن ذلك قبول مستوىً معينٍ من اللاعقلانية المعاصرة، فليكن.

<sup>18-</sup> التحليل التلوي هو أداةٌ إحصائية تحلّل نتائج مجموعةٍ من الدراسات المختصة بموضوع بحثٍ ما، وبادئة meta تشير إلى الشيء التالي، أو الشيء الذي يتعدى حدود شيء ما. [ملاحظة المترجم]

<sup>19-</sup> راجع: . .00i:10.1353/pbm.2006.0064. RP, Ramakrishnan R. Science, Medicine, and Intercessory Prayer. Perspectives in Biology and Medicine. 2006;49(4):504-514. راجع: . .doi:10.1353/pbm.2006.0064



إنّ كلَّ هذا يؤدي إلى بناء تصورٍ لمستقبلٍ ملحدٍ يختلف كثيرًا عن العالم البارد العقلاني الذي تصورَه ڤيبر ودوركهايم، ومؤخرًا ريتشارد دوكنز Richard Dawkins وغيره من الملحدين الجدد، هو مستقبلٌ مبنيٌّ على رقصٍ وغناءٍ وبعض الروحانية، تقوده اللامبالاة تجاه الدين بدلًا من معاداته، لكنه رغم ذلك مجتمعٌ جيد، لا يختلف في الواقع كثيرًا عن بريطانيا الحالية. وأثناء عودتي إلى سيارتي صباح ذلك الأحد المشمس، وجدتني لم أتمالك نفسي من الشعور بأنّ هذا لن يكون أمرًا سيئًا إن حدث.

# أربعة أنواع من الإلحاد

أعمى العقل Mind-Blind من لا يستطيع إدراك الدين.

غير مبال Apathetic من لا يهتم للدين.

غير مؤمن incredulous من كان معزولًا عن الأفعال الدينية المتطرفة.

تحليلي Analytic من كان رافضًا للدين بشكلٍ صريح.

#### انحسار الدين

يساعدنا الإيمان الديني على التعامل مع الموت، لكننا لن نؤمن على الأرجح ما لم يكن أبوانا مؤمنين.

59٪ من سكان العالم متدينون.

71٪ من غير المتدينين في الولايات المتحدة هم ملحدون لااكتراثيون.

17٪ أكثر من الفقراء يصفون أنفسهم كمتدينين.

3٪ هي احتمال أن يكبر طفل كمتدين إن لم يكن أبواه متدينين.

50٪ هي احتمال أن يكبر طفل كمتدين إن كان أبواه متدينين.

زادت كوارث طبيعية كالهزة التي وقعت عام 2011 في نيوزيلندا من قوة إيمان الناس هناك.

تحافظ المجتمعات اللادينية على حس قوي بالجماعة كما يظهر من شعبية تجمع الأحد



https://www.facebook.com/groups/arbangroup/



صفحة ثابتة نقدم فيها قراءة لأحد الكتب القيمة

# أسطورة سيسيفوس

للكاتب ألبير كامو

قرأتُ هذا الكتاب قبل ما يقارب الخمس عشرة سنةً، في فترة تبعتْ تركي للإسلام لم أكن أعدّ نفسي فيها ملحدًا بعد، وكنت لا أزال أبحث عن بدائل.

وقد جذبني الفكر الوجودي الإلحادي إلى حدٍ بعيد، ورغم وجود المركبة الإلحادية القوية في فكر بعض كبار منظريه في القرن العشرين، ككامو وسارتر، إلا أن ذلك لم يكن هو الجاذب الأساسي في حينها. وبالنسبة لكامو تحديدًا (والذي كان روائيًا أكثر منه فيلسوفًا بالمعنى التقليدي، بل وكان يرفض أصلًا تسمية وجودي)، فيلسوفًا بالمعنى التقليدي، بل وكان يرفض أصلًا تسمية وجودي)، أثارتني معالجته لفكرة غياب المعنى من الوجود، والتي تُمثّل أحد أقوى ما يحسّ به من يترك الدين والمعنى المرسوم للحياة من خلاله، فهو فكرٌ يتعاطى مع النتائج العملية المباشر للإلحاد ويطرح فلسفة حياةٍ مبنيةٍ على فهم معينٍ لهذه النتائج، وهي نقطة انطلاقٍ ملائمةٍ لمن ترك الدين لتوّه ولا زالت تخامره شكوكٌ وتساؤلاتٌ حول تركه للدين.







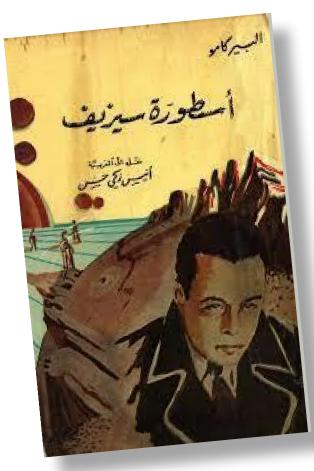
ألبير كامو

طبعًا، لا بد ألّا ننسى أن كامو قد تأثر جدًا، كغيره من معاصريه، بالحرب العالمية الثانية وما جلبته من موت ودمارٍ وانعدامٍ للمعنى. ففي ذلك الحين كان كامو كغيره من الفرنسيين منخرطًا في المقاومة الفرنسية للاحتلال الألماني، وذلك رغم أن كامو وُلد ونشأ في الجزائر المستعمرة من قبل فرنسا آنذاك. لذا، فليس من المستغرب أن نراه يكتب كتابًا عن غربة الإنسان وغياب المعنى وقسوة الوجود. قد تبدو لنا هذه الظروف المتطرفة التي كان يعيشها كحالة خاصة لا تبرر تعميم خبرته الشخصية إلى ما وراء سياقها، لكن كُتبه كـ«أسطورة سيسيفوس» وروايته «الغريب» وغيرها تطرح أسئلةً عميقةً منفصلةً إلى حد كبير عن ذلك السياق التاريخي المحصور، وإن كانت متأثرةً بلا شك بها. و«أسطورة سيسيفوس»، رغم نبرته التشاؤمية ظاهريًا فيها، يخلص إلى استنتاجات تفاؤلية في جوهرها عن قدرة الإنسان إيجاد وبناء معنًى في خضمٌ فوضى الوجود. ورغم أن كامو كان قد درس الفلسفة في جامعة الجزائر، إلا أن كتابته الفلسفية لم تكن بنفس الإبهام الأكادي الذي ميّز كتابات وجوديين كن معاصريه، مثل سارتر وهايدغر وهوسرل، وإن كان هذا الأخير قد اهتم بجبحث الفنومنولوجيا (علم الظواهر)، وهي المنهجية التي اعتمدها الكثير من الوجوديين، بما فيهم كامو نفسه. لذا، فإن كتابات كامو هي أقل أكاديمية ولا تعجّ بلمصطلحات الغريبة أو الصياغات المعقدة التقنية، بل على العكس، نرى في كتاباته الفلسفية نفس البراعة الأدبية التي تفضي إلى تدفقٍ سردي كالذي نراه في رواياته.

نشر كامو الكتاب بالفرنسية عام 1942 بعنوان Le Mythe de Sisyphe وكان الناشر دار غاليمار Éditions Gallimard في فرنسا، وقد ظهرت ترجمته إلى الإنجليزية في العام 1955م. الكتاب مُهدىً إلى الصحفي والباحث الفرنسي پاسكال پْيَا Pascal Pia. ويُصنَّف الكتاب عادةً كمقالةٍ مطولة.

يقع الكتاب في أربعة فصولٍ وملحق، عناوينها تباعًا هي:

- 1. المنطق العبثي.
- 2. الإنسان العبثي.
- 3. الخلق العبثي.
- 4. أسطورة سيسيفوس.
- 5. ملحق (يتعلق بالعبثية في أعمال فرانتز كافكا).





سطورة سيسيفوس



ألبير كامو

في النسخة التي قرأتُها (وهي بالإنجليزية من ترجمة جستن أوبراين Justin O'Brien) يتبع الملحقَ خمسُ قِطع قصيرةٍ بين قصةٍ قصيرةٍ ومقالٍ أدبيٌّ بقلم كامو.

ويمكن تلخيص فكرة كامو في أسطورة سيسيفوس بذكر المقابلة التي يراها بين غياب المعنى في الوجود ورغبتنا كبشر بوجود معنى وهدف، وهو يرى أن المفكرين يرون عادةً أن هنالك استنتاجين لا ثالث لهما، إما أن نقوم بقفزة إيمانية عمياء بوجود إله مانح للمعنى، أو أن نسلّم بعبثية الوجود وخلوه من المعنى. فإن سلّمنا بعبثية الوجود هل يعني أننا سنرى أن الحياة لن تستحق أن يعيشها المرء؟ ما يقوله كامو هو أن هذا ليس هو الاستنتاج الوحيد، فهو يقترح خيارًا ثالثًا يخلو فيه الوجود لا من المعنى، لكن الحياة المنتجة الهادفة تكون فيه ممكنة. ذلك أن كامو يرى أن العبثية هي تناقضٌ أصيلٌ في الوجود لا يمكن إنكاره، وما يحدث هو أن البعض يتهربون منه. وهو يرى أن الموقف الصحيح لا يتمثّل في الهروب من العبثية، وإنما في مواجهتها وإبقائها نصب أعيننا باستمرار، وهذا سيؤدي في رأيه، لا إلى الانتحار، وإنما إلى أن يعيش المرء حياةً غنيةً مجزيةً. يستعمل كامو لفظةً شبه اصطلاحية للدلالة على العبثية وهي الـ«أَبْسوُرْدْ» Absurd، وهي تمزج في معناها بين العبثية واللامعقولية. في هذه القراءة نشير إليها بلفظة «العبثية».

فلننظر إذًا إلى فصول الكتاب.

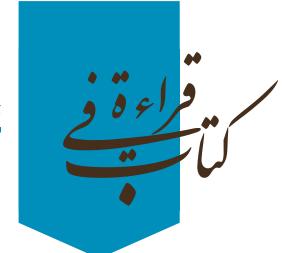
# الفصل الأول: المنطق العبثي

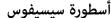
ينقسم هذا الفصل إلى أربعة أجزاءٍ فرعية:

- 1. العبثية والانتحار.
  - 2. جدران العبثية.
- 3. الانتحار الفلسفي.
  - 4. الحرية العبثية.

#### العبثية والانتحار

يقول كامو في حديثه عن العبثية والانتحار: «توجد معضلةٌ فلسفيةٌ حقيقيةٌ واحدة، ألا وهي الانتحار: فالحكم على ما إذا كانت الحياة لا تستحق أن يعيشها المرء يرقى لأن يكون الإجابة على أكثر الأسئلة الفلسفية جذريةً». فالذي يستنتج أن الحياة لا تستحق أن تعاش سينتحر، لكننا في نفس الوقت نرى أن من يعتقد بأنه وجد معنًى يعيش لأجله يكون على استعدادٍ







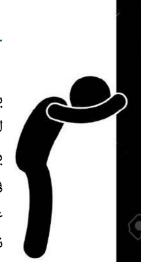
ألبير كامو

للموت أو للقتل في سبيل الدفاع عن هذا المعنى، فمسألة معنى الحياة من هذا المنظور تبدو مسألةً أساسيةً لا محيص عن التعامل معها. والذي تصل به الحياة إلى الانتحار يكون قد أقرّ بعبثية الحياة وعدم الجدوى من الاستمرار فيها. فرغم أننا نعيش حياتنا شاعرين بوجود هدفٍ لأفعالنا، إلا أننا ندرك أحيانًا غياب المعنى فيما نفعله، ونشعر وكأننا دُمًى تحركها خيوط الأقدار. لكن علينا هنا أن نميّز بين شيئين. الأول أن الشعور بالعبثية يرتبط بغياب المعنى في الحياة، والثاني أن الانتحار يرتبط بالشعور بأن الحياة لا تستحق أن تُعاش. وما يتساءل عنه كامو هو ما إذا كان انعدام المعنى يؤدي بالضرورة إلى الاعتقاد بأن الحياة لا تستحق أن تُعاش.

لكن المسألة ليست ببساطة الفرق بين الأبيض والأسود، فالخيار بين الحياة والانتحار لا يعني أن الجميع يتعاطى مع الموضوع بهذه الثنائية البسيطة، فمعظم الناس يستمرون في العيش لعدم وصولهم إلى حسم بصدد هذا السؤال المركزي، كما أن نظرة الناس إلى الأمور تتفاوت، فهنالك من ينتحرون رغم اعتقادهم بوجود معنًى للحياة، وهنالك البعض ممن يعتقدون بأن حياتهم لا تستحق العيش ومع ذلك يستمرون فيها. وعند مواجهة عدم جدوى الوجود نرى أن غريزة البقاء تطغى على مسوّغات الانتحار لدى غالبية الناس. يقول: «نحن نعتاد العيش قبل أن نكتسب عادة التفكير». فكامو يرى أننا نطور مهارة عدم مواجهة المنطويات الكاملة لغياب المعنى، وأننا نقوم بذلك من خلال الأمل والرجاء، الأمل بالحياة الآخرة، أو بإيجاد معنًى في هذه الحياة.

ما يريده كامو هنا هو مواجهة منطويات العبثية، فبدلًا من القبول التام لفكرة غياب المعنى، يريد كامو أن يجعل العبثية نقطة انطلاقٍ يتتبع منطوياتها كمقدمةٍ حتى يصل إلى نتيجتها المنطقية. فهو لا يريد الهروب من العبثية إلى الأمل أو إلى الانتحار، وإنما النظر إلى العبثية وجهًا لوجهٍ وأن يرى إن كان مقدور المرء التعايش معها.

# جدران العبثية



يرى كامو أن الشعور بالعبثية كغيره من المشاعر البشرية هو أمرٌ يصعب وصفه بالكلمات، لذا يلجأ إلى سلسلةٍ من التصويرات لإيضاح الخبرات التي قد تحفّز الشعور بالعبثية. فمثلًا، هنالك لحظاتٌ من الإدراك تبرز من أعماق التعب والرتابة والتكرار، حيث يتولد أحيانًا شعورٌ لدى المرء يدفعه للتساؤل عن جدوى الاستمرار في العمل أو النضال رغم الصعاب أو التعب، فكلنا نشعر في مرحلةٍ ما بمسير الزمن وعجزنا عن تغيير أمورٍ تحدث رغمًا عنا. لكن شعور العبثية قد يتولد عندما نرى أشياء مألوفةً في غير سياقها العادي وكأنها هي عاريةٌ لا تغلفها وظيفتها المتوقعة، كأن نرى جثةً لشخصٍ ميتٍ وندرك أن هذا المصير الحتمي البارد هو ما ينتظرنا.







ويضيف كامو أمثلةً فكريةً إلى هذه الأمثلة التي قد تعترضنا في حياتنا اليومية، فالعبثية تظهر لنا حين نتأمل الكون ونرغب في فهمه واختزاله إلى وحدةٍ واحدةٍ قابلةٍ للفهم، فالعلم يستطيع وصف العالم، لكنه لا يعطيه تفسيرًا نهائيًا، والعالم بتنوع ظواهره وأساليب فهمه يبدو عصيًا على الاختزال والفهم بدلالة حقيقةٍ مطلقةٍ واحدةٍ تعطي فهمًا تامًا له، فالفهم الذي يسعى لعقلنة العالم يبدو منفصلًا عن العالم نفسه، مفروضًا عليه، والعالم بحد ذاته لاعقلانيُّ بشكلٍ

جذري.

كامو لا يقول إن العالم بحد ذاته عبثي، أو أن العقل البشري عبثي، وإنما أن المقابلة بينهما هي ما يولّد الشعور بالعبثية.

ويرى كامو أن المسألة قد لقيت اهتمامًا من العديد من معاصريه ومن سبقهم، فثمة العديد من المفكرين الذين أدركوا لاعقلانية الخبرة البشرية بدلًا من إنكارها من أمثال مارتين هايدغر Martin ،Heidegger

> وکارل یاسپرز Karl Jaspers وليڤ تشستوڤ Lev Chestov وسورن کیرکغور Søren Kierkegaard،

وهم كلهم يشتركون في إدراك المحددات على المعرفة البشرية، وما عدا ذلك بالنسبة لهم غير قابلِ للفهم.



كيركغور

# الانتحار الفلسفي

تتولد العبثية من مقارنةٍ أو تعالق بين فكرتين غير متوافقتين. وهنا نذكّر القارئ بأن لفظة أبسورد تحتوي في طياتها إشارةً إلى اللامعقول، فعندما نقول عن أمرٍ أنه لامعقولٌ نشير إلى تناقضٍ في صميم الأمر، مثل القول إن شخصًا أمينًا يختلس الأموال، فأمانته تتعارض مع









لبير كامو

حيازته للمال بشكلٍ غير مشروع. كذلك الأمر بالنسبة للعبثية من منظور كامو، فهو يرى أن الإنسان في سعيه نحو فهمٍ موحّدٍ للكون يواجهه الكونُ بظواهر عبثيةٍ صمّاء، فالعبثية تتولد عندما نجمع رغبتنا في الحصول على إجاباتٍ شافيةٍ مع صمت العالم في مواجهة أسئلتنا.

ما يتبع لا يمكن أن يتمثل بمحاولة التوفيق بين متناقضات، وإنما بالاعتراف بوجود التناقض والسير مع (منظوياته)، وما يسعى إليه كامو هو استكشاف إمكانات التعايش مع العبثية، لا نفيها أو تجاوزها، وهو يرى أن العيش مع هذا التناقض يقتضي أمورًا ثلاثةً: انعدام الأمل، الرفض المستمر، والشعور بعدم الرضى مع إدراك الشعور به. وهو يرى أن الفلاسفة الوجوديين عمومًا حاولوا التهرب من مواجهة العبثية، فياسپرز مثلًا يدّعي اكتشافه لفكرة التعالي Transcendence من خلال قفزة لا منطقية عند نقطةٍ مفصليةٍ حين تعجز عندها العقلانية، بينما يساوي تشستوڤ بين العبثية والله، بمعنى أننا نحتاج إلى الله حتى نواجه ما هو مستحيلًا وغير مفهوم. أما هوسرل، فرغم أن فنومنولوجيته تتعاطى حصرًا مع الخبرة المحسوسة فيما يبدو وكأنه إقرارٌ بالعبثية، إلا أنه بعد كل هذا يحاول إجراء ربطٍ بين كياناتٍ متعاليةٍ من جهة، والظواهر البسيطة التي يعالجها من جهةٍ أخرى.

وفي المحصلة، يرى كامو أن كلًا من هؤلاء الفلاسفة يحاول حلّ معضلة المواجهة بين العقل البشري والكون اللاعقلاني بشكل أو بآخر، فكلٌ من ياسپرز وتشستوڤ وكيركغور ينفي قدرة العقل البشري ويؤكدون بالمقابل لاعقلانية الكون، رابطين ذلك بالله. أما هوسرل، فيحاول نفي لاعقلانية الكون عن طريق عقلنة الظواهر التي توفرها الخبرة المباشرة. إذًا، فالوجوديون من هذا المنظور يحاولون إيجاد حلًا ترانسندانتاليًا(1)، لكن هذا تهرّبٌ من وجهة نظر كامو، فلا يجب القبول والركون أو اللجوء إلى الحلول الترانسندنتالية، وهو يرى أن هروب هؤلاء الفلاسفة من مواجهة الأسئلة التي تطرحها العبثية ما هو إلا انتحار فلسفى.

### الحرية العبثية

إن الإنسان العبثي هو من يطالب باليقين ويجعله أول أولوياته، لكنه يدرك أن الشيء اليقيني الوحيد هو العبثية، فهو يرى أن الحقيقة الوحيدة التي يعرفها عن نفسه هي رغبته في توحيد خبرته عن العالم واختزاله وفي عقلنته ووضوح فهمه له، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى هو متيقّنٌ من أن العالم لا يسير حسب خطةٍ أو نمطٍ واضح. فلربما كان هنالك معنًى للحياة، لكن هذا المعنى إن وُجد لا يمكن التيقن منه، فالإنسان العبثي يريد العيش في ظل معرفةٍ أكيدة.

<sup>1-</sup> المقصود هنا هو تجاوز الخبرة المباشرة في هذا العالم إلى ما ورائه.





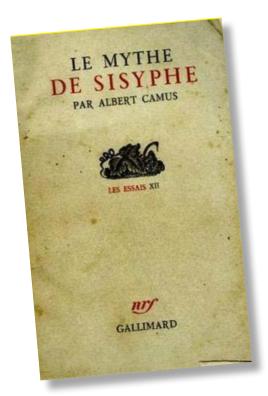
ألبير كامو

مع أن الشعور بالعبثية يظهر من المقابلة بين العقل البشري والكون اللاعقلاني، إلا أن المرء لا يشعر به إلا بشكلٍ واع. ولهذا السبب يحتاج الإنسان العبثي أن يحافظ على إدراكٍ واعٍ مستمرٍ لهذا التعارض دون أن يحاول حلّه أو التهرب منه.

كامو يرى إذًا ثلاث نتائج للتعايش مع الشعور بالعبث:

- 1. الثورة (أو التمرّد)، والمتمثلة برفض الإجابات التي تدعي أنها شافيةٌ أو الحلول للصراع الذي يواجهنا.
  - 2. الحرية، حريّة التفكير والتصرف.
  - 3. الحماسة والاتّقاد، فعلينا السعي لإثراء خبرتنا الحياتية وتنويعها.

ويعارض كامو بحدة فكرة أن قبول العبث يؤدي إلى الانتحار، بل بالعكس، هو يرى أن قبول العبث مؤداه أن يعيش المرء حياةً ثريةً، وذلك بأن نُبقي نصب أعيننا أننا كائناتٌ عاقلةٌ محكومٌ عليها أن تعيش حياةً قصيرةً في عالمٍ لاعقلاني ومن ثمّ هُوت. فإذكاء هذا الشعور بالتناقض بين رغباتنا والواقع والعيش في حالة التناقض المستمر التي تمثل الشعور بالعبث فيه تمرّدٌ على غياب معنًى للحياة وعلى الطبيعة الحاسمة للموت الذي ينتظرنا. فالانتحار، مثله مثل الأمل ليس أكثر من طريقةٍ للهروب من التناقض. والتعايش مع العبث يشابه الضائقة التي يشعر بها المحكوم بالإعدام، ففي كل نَفَسٍ يأخذه يؤكد على تمرّده على فكرة أنه قريبًا سيموت.



عادةً نعيش ونحن نعتقد أننا أحرارٌ في قراراتنا وتعريف أنفسنا من خلال أفعالنا، ويؤدي هذا التصور عن الحرية بنا إلى فكرة أننا نستطيع خلق اتجاه نسلكه في حياتنا، مما عكّننا من توجيه جهودنا نحو تحقيق ذلك كهدف. فيمكن للمرء مثلًا أن يعرّف نفسه كمواطنٍ صالحٍ أو كأمٍّ عطوفة، وتبعًا للصورة الذاتية التي نخلقها لأنفسنا تأتي أفعالنا. هذه الحرية المفترضة هي حريةٌ ميتافيزيقية، فهي مبنيةٌ على تصور أن طبيعة البشر والكون تسمح لنا باختيار مسارنا في الحياة. لكن الإنسان العبثي برفضه كل ما لا يستطيع التيقن منه سيرفض هذه الحرية مثل رفضه لفكرة معنى الحياة، فالحرية التي يعرفها الإنسان العبثي هي الحرية التي يختبرها بشكلٍ مباشر، حرية التي يعرفها الإنسان العبثي هي الحرية التي يختبرها بشكلٍ مباشر، حرية التفكير والتصرف كما يشاء. فهو برفضه فكرة أن عليه تحقيق دورٍ اجتماعيٍ محدّدٍ يصل إلى نوعٍ من الحرية يعيش فيه في اللحظة متحررًا من التحيّزات المسبقة.





كذلك، فرفض فكرة وجود معنىً للحياة، هو أيضًا رفضٌ لفكرة القِيَم، فغياب المعنى والهدف يعني غياب مسوّغ اختيار شيءٍ دون غيره، مما يؤدي إلى انعدام وجود معايير نوعيةٍ لخبراتنا واستبدالها بمعايير كمّية: كلما زاد كم الخبرات التي يمرّ بها المرء كان ذلك أفضل. ويقصد كامو بالكمّ هنا حياةً غنيةً بالخبرات، فالشخص الواعي بكل لحظةٍ تمر سيختبر خبراتٍ أكثر ممن هو منشغل، وبهذا المعنى فإن الإنسان العبثي يصرّ على العيش في الحاضر.

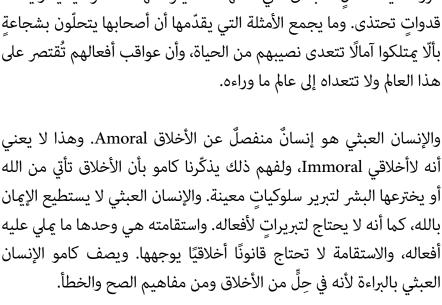
# الفصل الثاني: الإنسان العبثي

يقوم كامو في الفصل الثاني بنقل النقاش إلى مستوى التطبيق العملي لفكرته التي قدّمها بشكلِ مجرّدٍ في الفصل الأول. ففي هذا الفصل يقدّم كامو أمثلةً يرى فيها تمثلًا للمبادئ التي قدّمها والتي شملت التمرّد والحرية والحماسة أو الاتّقاد. أجزاء هذا الفصل هي:

- 1. الدون خوانية.
  - 2. دراما.
  - 3. الفتح.

### الدون خوانية

يقدم كامو شخصية دون خوان Don Juan الممثل صاحب المغامرات الرومنسية كتمثّل للمبادئ التي قدّمها، لكنه ينوّه أنها أمثلةٌ توضيحيةٌ وليست قدواتٍ تحتذى. وما يجمع الأمثلة التي يقدّمها أن أصحابها يتحلّون بشجاعةٍ بألًّا متلكوا آمالًا تتعدى نصيبهم من الحياة، وأن عواقب أفعالهم تُقتصر على هذا العالم ولا تتعداه إلى عالم ما وراءه.









وأول أمثلة كامو كما ذكرنا كان دون خوان (أو دون جوان بحسب بعض الترجمات التي لا تأخذ اللفظ الأسپاني بعين الاعتبار). فشخصية دون خوان تُصوّر عادةً كشخصية زير نساءٍ ينتقل من امرأةٍ إلى أخرى يغري كلًا منهنّ بنفس الأسلوب، ولا يطيل بقاءه مع أيًّ منهنّ لفترةٍ طويلة. ويرفض كامو فكرة أن دون خوان يبحث بذلك عن الحب الحقيقي أو أنه مدفوعٌ بالبؤس أو أن مخيلته فقيرةٌ تؤدي به إلى التكرار أو أنه أنانيٌ جلفٌ أو حتى أنه رجلٌ عجوزٌ بائس، فكل هذه الاتهامات تفترض أن دون خوان يسعى إلى حالةٍ ترانسندنتالية لإيجاد شيءٍ يتعدى إغواءاته اليومية، ولكنه كان يعجز عن الوصول إلى تلك الحالة. وبعكس ذلك، فإن كامو يقدم نموذج دون خوان على أنه شخصٌ يعيش اتقاد اللحظة دونما أملٍ في إيجاد أي معنًى يتعدى حياته، وهو يدرك تمام الإدراك خلو إغواءاته من المعنى. فهو لا يبحث عن الحب الحقيقي، وجُلِّ ما يسعى إليه هو تكرار عن النوع، فلو كان أسلوبه يفضي إلى نتائجه المرجوة، فما الداعي للتغيير؟ أما أنانيته فليست قاسيةً تسعى إلى تملك النساء اللواتي يغويهن أو التحكم فيهن. وهو لا يعاني من عواقب أفعاله، فهو يعيش مدركًا لهويته ولاتجاهه، مما يعني أن الكبر في السن أو العجز الجنسي لن يفاجآه. والفارق الأساسي بين الإنسان العبثي وبقية البشر يتمثل في المواقف الداخلية التي يتخذها المرء من أفعاله، لا في الأفعال نفسها، وهذا ينطبق، بحسب كامو على دون خوان إذا ما قورن بزير نساءٍ نهؤدجي.

من الصعب اعتبار النقاش الذي قدّمه كامو في الفصل الأول نقاشًا فلسفيًا إلا بمعنًى فضفاض، فهو لا يحاول الاستفاضة في نقاش المواقف التي يقدمها، ولا يأبه كثيرًا لصحة مزاعمه من خطئها، وهو يركّز اهتمامه على الجوانب الحياتية العملية.

#### دراما

ويقدّم كامو الممثّل الدرامي كمثاله الثاني على الحياة التي تتناسق مع مبادئه في الحياة العبثية. فالذي يجذب الناس إلى الدراما هو الإمكانات المختلفة التي يمكن إنجازها في إطار الخيال. والممثل من حيث هو إنسان عبثي لا يكتفي مراقبة وتخيّل حيوات تختلف عن حياته، فهو يصرّ على أن يعيشها بنفسه ويضغط كمًا كبيرًا من الخبرات الحياتية في سياق حياته ومسيرته المهنية.



ونلاحظ أن حياة الممثل مثلما حيوات من





ألبير كامو

يتمثلهم هي حياةٌ عابرة، فحتى شُهرة الممثل هي من أقصر الشهرات في عالم الفن، ويركّز كامو اهتمامه على ممثلي المسرح، والذين لا يتم تخليدهم كممثلي الأفلام السينمائية، فمجدهم يقتصر على مدى نجاحهم أمام جمهورهم. أما الروائي مثلًا قد يطمح بشهرةٍ تستمر بعد مماته، لكن الممثل يعرف أن شهرته محدودةٌ بما يختبره خلال مسيرته الفنية. كذلك، نرى أن الشخوص في المسرحية لا تعيش أكثر من ثلاث ساعاتٍ تُعتبر طول فترة حياتها. علاوةً على ذلك، فالممثل لا يعيش رهينة وهم أن إنجازاته ستجد من يقدرها بعد مماته، فهو يعيش مدركًا لعبثية أن معنى أفعاله يقتصر على أفعاله نفسها.

كذلك، وبحكم طبيعة استخدام عمل الممثل التي تتطلب تعبيرًا بالجسد والكلام، يكون من الصعب على الممثل الانغماس بتفاصيل حياة داخلية، مما يعني أن الحاجر الموجود بين عقل الممثل وجسده يكون شبه معدوم، كما ونرى أيضًا بعض التعارض بين حياة الممثل والدين، ذلك أن الكنيسة تقليديًا عارضت التمثيل، من باب أن الممثل يركّز على أن يعيش حيوات عدة، في حين تركز الكنيسة على أن الحياة واحدة والروح واحدة، وأن الحياة الأخرى هي الهدف النهائي. بينما نرى الممثل يركز على فكرة اختبار أكبر عددٍ ممكنٍ من الحيوات بدلًا من التركيز على النوع. لذا يهتم الممثل بحياة طويلة غنية مقابل الحياة الأبدية السعيدة.

# الفتح (القتالية)

يُفرّق كامو بين الحياة في الحاضر من جهة، والسعي وراء حياةٍ من الأمل في حياةٍ أبديةٍ من جهةٍ أخرى. الحياة الدينية تتبع هذا النمط الأخير، حيث تهتم بعلاقة الإنسان بربه أكثر من اهتماماتها بجريات هذه الحياة. أما حياة الفاتح Conqueror فتتبع النمط الأول، حيث يعيش حصرًا في العالم الذي يقطنه، ويهتم مثلًا بالسياسة، لكنه وفي ذات الأوان يدرك عدم جدوى نضاله ولا يتوقع أنه سيستطيع تغيير العالم أو الطبيعة البشرية، والنصر الوحيد الذي سيشبعه هو نصر أبدي حاسم، نصر سيغيّر العالم إلى الأبد، لكنه يعرف استحالة ذلك.

إن ما يجذب الإنسان العبثي للتمرد والفتح هو أنهما يستخرجان أعمق مكامن الطبيعة البشرية. فالذي ينخرط في فعل التمرد السياسي لا تشغله سوى حاجات البشر وكرامتهم والعلاقات ما بينهم. ويتوقف المرء المتمرد عن أن يكون متواكلًا وغير ذي تأثير، ويطوّر إدراكًا للأثر البالغ الذي بمقدوره تركه على العالم. ويرى كامو أن الكنيسة عارضت المتمردين والفاتحين لأنهم يضعون هذه الهموم الدنيوية في مرتبةٍ أعلى من الهموم الآخروية.

## ويختم كامو هذا الفصل بملاحظة أن زير النساء، والممثل والفاتح ليسوا أكثر من أمثلةٍ متطرفةٍ على الإنسان العبثي، فالعبثية





لا تقتضي فمط حياة معين وإنها موقفٌ فكريٌ معين، فموظفون في عملٍ مكتبيٍّ أو ناشطون سياسيون، مثلًا، يستطيعون أن يعيشوا حياةً عبثيةً طالما حافظوا على وعيٍ بعدم جدوى جهودهم وغياب المعنى فيما يفعلون، وطالما بقوا مصرّين على أن يعيشوا باستقامةٍ وأن يعيشوا اللحظة الحاضرة.

# الفصل الثالث: الخلق العبثي

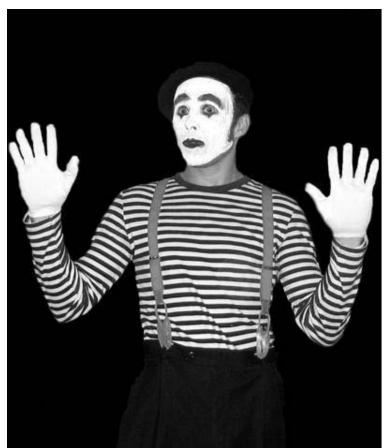
في هذا الجزء من الكتاب يفحص كامو مسألة الخلق بالمعنى الفنّي، وبالأخص فيما يتعلق بالأدب، ويعتبر ذلك ذروة الحياة العبثية. يقع هذا الفصل في ثلاثة أجزاء هي:

- 1. الفلسفة والأدب.
  - 2. كىرىلوڤ.
  - 3. الخلق العابر.

## الفلسفة والأدب

كما رأينا في الفصول السابقة، فالإنسان العبثي يعيش حياة الممثل الصامت مدركًا عبثية أفعاله وغياب المعنى من ورائها، وغير قادرٍ على أخذها مأخذ الجد، فهو ليس منغمسًا تمام الانغماس فيما يفعله وإنما ينظر إلى نفسه كممثل صامت يلعب دوره. وبما أن الحياة ككلِّ هي مسرحية ممثل صامت، فإن الفعل الخلّق هو ذروة التمثيل الصامت، يخلق الفنان فيه عالمًا بأسره يحاكي عالمنا. والإنسان العبثي لا يسعى لتفسير الحياة وإنما يقتصر على وصفها. والفن يعكس جوانب مختلفةً من يقتصر على وصفها. والفن يعكس جوانب مختلفةً من الحياة لكنه لا يضيف إليها شيئًا، أي أن الفن نفسه، مثله مثل الحياة، لا يعطي أيّة قيمة تتجاوز هذا العالم والحرية والاتقاد التي تعتبر جوهر الإنسان المتمرد.

إن دوافعنا للتفكير وللخلق ينبعان من القلق الذي





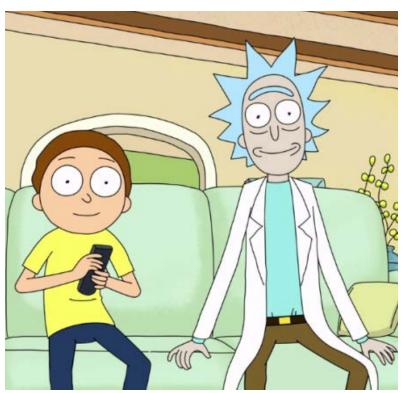


نشعر به في مواجهة تناقض العبثية في حياتنا. وقد رأينا فيما سلف، أن المفكرين عمومًا حاولوا تجنب هذا التناقض عن طريق قفزاتٍ لاعقلانية، سواء أكانت قفزات أملٍ أو قفزات إيمان. ويتساءل كامو عمّا لو كان الفن يلعب دورًا مماثلًا، فهل يحثّل الفن أيضًا مهربًا من العبثية؟ أم لربما هنالك فنٌ عبثي؟

يرى كامو أن التمييز بين الفن والفلسفة هو تمييزٌ مبهمٌ يعتريه الغموض، وهو ينتقد تحديدًا القول بأن الفيلسوف يعمل من داخل نظامه الفلسفي، بينما يعمل الفنان من خارج إنتاجه. ذلك أن كلّا من الفنان والفيلسوف يعملان لخلق تصورٍ للعالم يحتم عليهما أن يعيشا من منظور التصور الذي يختارانه حتى يُنتجا.

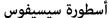
ويتحتم على الفن العبثي أن يكتفي بالوصف وأن يمتنع عن محاولة التفسير، وأن يمتنع عن محاولة التلميح والإشارة إلى شيءٍ ما وراء ما يرى، كذلك شيءٍ ما ورائيٍّ أكبر بهدف الوصول إلى معنًى ما للحياة. فكما أن الإنسان العبثي لا يحمل أملًا في شيءٍ ما وراء ما يرى، كذلك الفنان العبثي. والإنتاج الفني الرديء هو ما يثقل كاهله بمظاهر زائفةٍ تحاول إسباغ صفة العالمية والعمومية لوصف حال موضوعه.

أما الإنتاج الفني الجيد فيدرك أن وصفه سيقتصر على جانبٍ محدّد، على قطعةٍ محدودةٍ من الخبرة، ويترك بالتالي كل ما قد يوصف بالعمومية ضمنيًا، والفنان الجيد على القدرة على الاستمتاع بالحياة، فهو يقظٌ لطبيعة ما يختبره ويستطيع وصفه بلاغة.



وإذا نظرنا إلى الفنون المرئية والموسيقى، نرى أنها تؤثر فينا على مستوىً حسي، مما يجعلها أقدر على الوصول إلى المُثُل العبثية الوصفية دون حاجة إلى اللجوء إلى التفسير. أما اللغة، ففيها استعدادٌ مسبقٌ لتكون وعاءً للتفسير، لذا، يتساءل كامو عن إمكانية قيام أدبٍ عبثي. فالكاتب الجيد، كالفيلسوف، يخلق عالماً بأسره ويعيش فيه، لكنه بعكس الفيلسوف، يتواصل مع قرّائه عن طريق التصوير، لا المحاكمات يتواصل مع قرّائه عن طريق التصوير، لا المحاكمات العقلية، لتفضيله الوصف على التفسير. وعلى الكاتب العبثي أن يظل مدركًا لعدم جدوى إنتاجه، فكتابته لن توصله أو توصل قرّاءه إلى تجاوز هذا الوجود إلى معنى ما يقبع وراءه.

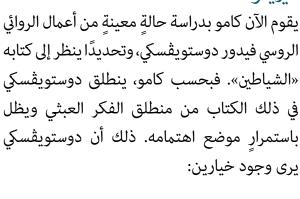






#### ألىر كامو

# كيريلوڤ





إما أن الله موجود، وهنالك حياةٌ بعد الموت وأن للحياة معنًى، أو أن الحياة تخلو من أيّ معنًى، مها

يُفقد أفعالنا أي هدف، ويحيل حياتنا ككلٍ إلى نكتةٍ قاسية. وهو بهذا المفهوم كاتبٌ حديثٌ تثقل كاهله همومٌ عبثيةٌ لأن اهتمامه ينصبُّ على معنى الحياة، لكنه فنانٌ وليس فيلسوفًا، لأنه يفحص أثر هذه المشاكل على الناس بدل أن يتعامل مع هذه المشاكل كمفاهيم مجرّدة.

تقوم شخصية كيريلوڤ من رواية «الشياطين» بارتكاب ما يسميه «انتحارًا منطقيًا». فهو مقتنعٌ أن الحياة حتى تستحق أن تُعاش، فلا بدّ أن يكون موجودًا. وفعل الانتحار الذي تُعاش، فلا بدّ أن يكون موجودًا. وفعل الانتحار الذي يرتكبه هو فعل تمرّدٍ ضدّ فكرة أن الله غير موجود. تتمثّل إذًا عبثية شخصية كيريلوڤ في كونٍ دافع فعله هذا كان تمرّدًا قام به في سياق شعورٍ بالحرية. ورغم انتحاره، إلا أن كامو يرى فعله هذا كفعلٍ خلّاقٍ يرجو كيريلوڤ من خلاله أن يتحول هو نفسه إلى الله.

يقول كامو أنه إن لم يكن هنالك إله، فإن كيريلوف نفسه يتحول إلى إله. ذلك أن كل شيء يعتمد على إرادة الله من وجهة نظرٍ مسيحية، وكل ما نفعله هو لخدمة الله. لكن، لو لم يكن الله موجودًا، فإننا نتصرف بحكم إرادتنا الحرّة، وأفعالنا ستخدمنا نحن فقط. وفي عالم لا إله فيه، نشغل نحن البشرُ المنصب الذي كان سيشغله الله.

لكن المشكلة تكمن في أنه حتى في عالم بلا إله، يستمر الناس بالشعور بالأمل والرجاء ويرفضون الحرية التي ورثوها، وفي العالم المعاصر، ما من طريقة محكّن الناس من ممارسة هذه الحريّة. وما يبيّنه كيريلوڤ هو أنه من الممكن أن يموت المرء وهو علك هذه الحرية. فانتحاره هو محاولةٌ للتضحية بنفسه ولإظهار الحرية العبثية التي غلكها للعالم، وذلك حتى يتمكن من يأتوا من بعده أن يعيشوا بحريةٍ أكبر.



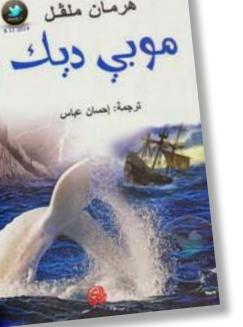


هرمان ملقل 🔇

ترجمة: إحسان عباس

يقدّم لنا دوستويڤسكي تصورًا عبثيًا للعالم، وذلك من خلال شخصية كيريلوڤ ومن خلال المشاكل التي يعالجها عمومًا في أعماله، لكن دوستويقسكي يقوم بقفزةٍ إيمانيةٍ في نهاية المطاف، ويتراجع عن منطويات العبثية. ففي آخر رواياته، الإخوة كارامازوڤ نراه يؤكد على لسان آليوشا أن هنالك حياةً بعد الممات، ورغم صراع دوستويڤسكي مع أفكارِ عبثية، إلا أنه في النهاية وضع إيمانه في الله، مما جعله في تصنيف كامو وجوديًا، لا عبثيًا.

#### الخلق العابر

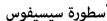


لقد أظهر لنا المثال السابق من أعمال دوستويقسكي مدى الصعوبة الكامنة في إبقاء تناقض العبثية حيًّا، فرغم أن دوستويڤسكي ينطلق من رغبةٍ في فحص فكرة العبثية، إلا إنه في المحصلة يسمح للأمل في حياةٍ أخرى بالتسرّب إليه. والرواية الوحيدة التي يرى كامو أنها تحافظ على خط العبثية باتّساقِ هي رواية «موبي ديك» لهرمان ملڤل. ويرى كامو أننا نستطيع تعلّم الكثير عن الفن العبثي بمشاهدة فشل الأعمال التي لا تسير على خط العبثية، فنتعلم مدى سهولة الوقوع فريسة الأمل، والرغبة في وحدة الفهم والنظام، وفي إدراكنا لذلك نتعلم أيضًا مدى أهمية الحاجة للحفاظ على وعي مستمرٍ بعدم جدوى الأمل.

وبحسب كامو، يتعيّن على الفنان العبثي أن يفرغ عقله باستمرارٍ من أي أملٍ أو توقّعِ لحياةٍ أخرى، ذلك أن الفنان العبثي يستقي وحيه من هذه النظرة السلبية، وهو يكتب مدركًا عدم جدوى ما يكتبه. لكنه ُ رغم إفراغه فكرة أن هذا العالم يملك قيمةً أكبر مما ندركه منه من محتواها، إلا أنه في ذات الوقت يسعى لاستقاء أقصى ما يستطيع من هذه الحياة. ويستطيع الفنان استغلال انضباطه وملكة جلاء فكره في الحفاظ على استمرارية إدراك وجود العبثية، مما يجعل إنتاجه الفني انعكاسًا لإحساسه المستمر بالعبثية، ويحيله سجلًا توثيقيًا لتغيّر حالات وعيه وغوه وازدياد خبراته. إلا أن هذا لا يعني أن على الإنتاج الفني أن يُظهر المفاهيم الفلسفية المجردة القابعة وراء الحس بالعبثية وجعلها جزءًا صريحًا من إنتاجه. ففن الرواية ليس عرضًا لأفكارٍ فلسفيةٍ في رداءٍ تصويري، إذ أنها في النهاية تصوّرٌ متعيّنٌ للحياة من منظورٍ محددٍ لا يطمح للتعميم.

ثم ينهي كامو هذا الجزء ملخّصًا بقوله إن الحياة تنتهي بالموت، ولكن حتى تحين لحظة الموت يكون كل شيءٍ بأيدينا. ولو سلّمنا بأن هذه هي الحياة الوحيدة التي سنعيشها وأنه ما من إلهٍ يحدد الصواب من الخطأ، فالحياة تتحول ملكًا لنا، ولنا الحق عندئذِ بأن نعيش كيفما أردنا.



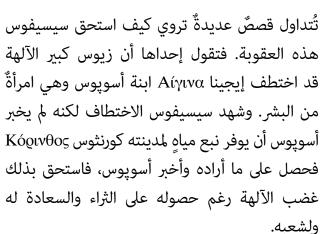


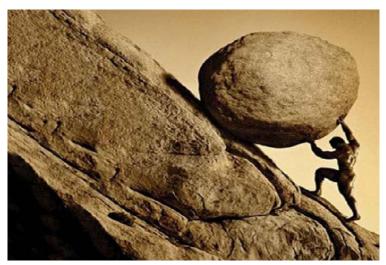


ألبر كامو

# الفصل الرابع: أسطورة سيسيفوس

بهذا نصل إلى الفصل الذي يحمل اسم الكتاب. ولعل اسم سيسيفوس باليوناني  $\Sigma$  (500000) يترادف في الأذهان مع العقوبة التي تلقّاها في العالم السفلي، أكثر من السبب الذي أدّى به إلى الحصول عليها في الحياة الدنيا. وبحسب الأساطير الإغريقية، فإن الآلهة حكمت على سيسيفوس بدفع صخرة كبيرة إلى أعلى جبلٍ حتى إذا وصلت القمة تركها تتدحرج إلى قاع الجبل وأن يكرر هذا العمل إلى ما لانهاية. ويرى كامو أن الآلهة كانت حكيمةً في إيقاع هذه العقوبة، فقضاء الأبدية في شقاءٍ غير خي طائلٍ هو بالفعل عقوبةٌ شنيعة.





وتقول قصةٌ أخرى أن سيسيفوس قيّد روح الموت (ما يقابل ملاك الموت لاحقًا)، مما أدى إلى احتباس الموت عن البشر، وعندما حرّرت الآلهة الموت من سجنه، كان أول ضحاياه سيسيفوس. ويقال أيضًا أن سيسيفوس طلب من زوجته بألّا تقوم بشيءٍ من الطقوس الدينية التقليدية عند موته، لكنها كما يبدو قامت بها رغم طلبه، فالتمس هادس، مَلك العالم السفلي أن يرجع ليقرّعها فاستجاب هادس لطلبه، لكنه رفض العودة إلى العالم السفلي بعد ذلك، وعمّر طويلًا قبل أن يموت ويعود إلى العالم السفلي للمرة الثانية ليتلقى عقوبته الأبدية.

ويرى كامو في سيسيفوس النمط البدائي Archetype للبطل العبثي، وذلك بسبب أفعاله التي استحقها بسبب العقوبة، وبسبب العقوبة نفسها، فهو أظهر حقدًا على الآلهة وكرهًا للموت وعشقًا للحياة، وعقوبته أن يتعرض لأبديةٍ من الصراع اليائس الخالي من الأمل.

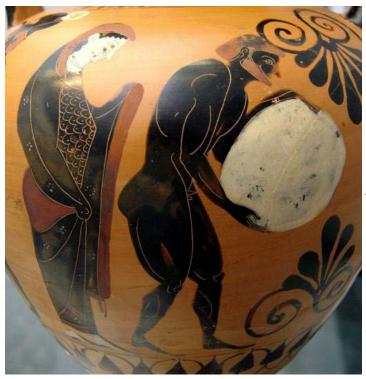






ألبر كامو

لا توجد قصصٌ عمّا يختبره سيسيفوس أثناء أدائه العقوبة في العالم السفلي، فهذا متروكٌ لخيالنا، ولكن كامو يهتمّ جدًا بتلك اللحظة التي يبدأ الحجر بالتدحرج فيها من أعلى الجبل وحالة سيسيفوس وهو ينظر إلى الحجر، ففي نزوله عن الجبل وهو حرٌّ من شقائه لبرهةٍ يدرك عبثية مصيره، وتكمن مأساوية هذا المصير في أنه يدرك ما أصابه ويدرك أن ما من أملٍ في الخلاص، لكن الوضوح الذي يدرك من خلاله مصابك يضعه في مرتبةٍ أعلى من مصيره.



ويقول كامو، لربما أن سيسيفوس يؤدي مهمته بشيء من المتعة، إذ تعتريه لحظات البؤس والتعاسة فقط عندما يستذكر العالم الذي خلّفه وراءه أو عندما يرجو أو يتمنى السعادة. أما عندما يتقبل سيسيفوس مصيره، فإن البؤس والتعاسة يختفيان، ويقترح كامو أن الإقرار بوطأة الأبدية وعبثية مصيره كفيلٌ بالتخفيف من تلك الوطأة. ويرى كامو علاقة وثيقة بين العبثية والسعادة، فكلتاهما ترتبط بإدراك علاقة وثيقة بين العبثية والسعادة، فكلتاهما ترتبط بإدراك علاقاً عندما أمور عالمنا ومصيرنا، وأن الأمل معدومٌ وأن عياتنا هي فقط ما نصنعه بأيدينا.

وبنزوله الجبل يدرك سيسيفوس مصيره تمامًا، ويستنتج كامو: «لا بد أن نتخيل سيسيفوس سعيدًا».

### ملحق: الأمل والعبثية في أعمال فرانتز كافكا

يفتتح كامو حديثه عن كتابات كافكا F. Kafka بالقول إن علينا إعادة قراءة تلك الكتابات، ذلك أنها قابلةٌ للتفسير والفهم من جهاتٍ عدة بحكم طبيعتها المغرقة في الرمزية.

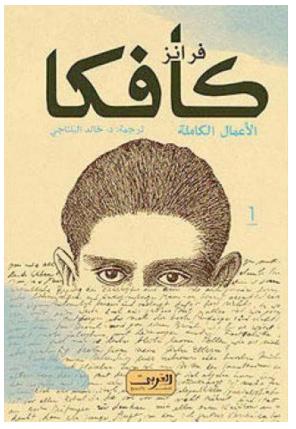
فرواية «المحاكمة» تبدو روايةً عبثيةً، وهي تقص ما يجري مع جوزف ك.، والذي يتم اتهامه ومحاكمته والحكم عليه دون أن يعرف هو نفسه بأي جُرْمٍ قد أُدين. وتعود حياته إلى مجراها الطبيعي بعد الإدانة، لكنه يسعى لمعرفة الشيء الذي أُدين بسببه، ويحاول استئناف الحكم. وتنتهي الرواية بإعدام جوزف ك. دونها أي تفسير.



سطورة سيسيفوس



ألبير كامو



ورغم العالم الغريب الذي يقطنه جوزف ك.، إلا أن كل شيء يبدو له طبيعيًا، وهذا بسبب الرمزية المعقدة الكامنة في كتابات كافكا، والتي يستعملها كرابط بين العالم العادي وعالم طموحنا الروحي وقلقنا الماورائي. ففي «المحاكمة» نرى القلق والإبهام والأمل قد تم اسقاطها على حيثيات النظام القضائي والبيروقراطي بكل واقعيتها. ويفسر كامو الأمر قائلًا بأن المنطق والرتابة هي من مكونات المأساة والعبثية، إذ أن الرعب كامن في المأساة والعبثية كامنة في رؤية العواقب المرعبة تخرج من ثنايا نظام طبيعي منطقي. إن منطق العبثية المنحرف وكتابات كافكا ترغمنا على إدراك أن ما ينفرنا هو أيضًا منطقي.

أما في رواية «القلعة» فيتخطى كافكا العالم العبثي الذي وصفه في «المحاكمة» ويحاول إيجاد تفسيرٍ أو نوعٍ من الأمل. تروي «القلعة» قصة شخصٍ اسمه ك. ينتقل إلى بلدةٍ لتعيينه مسّاح أراضٍ في قلعة فيها. لكن ك. يعجز عن التواصل مع قاطني القلعة ويرفض القرويون تصديق أنه يملك أي سلطة.

ويشعر القارئ أن «القلعة» أكثر تفاؤلًا من «المحاكمة» نظرًا لوجود أملٍ مستمرٍ لدى ك. بحدوث انفراج. وهو يحاول الانخراط في مجتمع القرية، ويقيم علاقةً مع امرأةٍ ترتبط بالقلعة، لكنه في نهاية القصة يترك هذه المرأة ليلتحق بعائلةٍ منبوذةٍ من قبل القلعة والقرويين. ويرى كامو أن كافكا في «القلعة» توجه إلى تأليه العبثية وقام بما يشابه القفزة الوجودية التي قام بها كيركغور.

وتُظهر «المحاكمة» انعدام الأمل على الأرض، ويبدو أن كافكا يستنتج في «القلعة» أن هذا يجعل الأمل في الله أمرًا معقولًا. لقد بدا الوضوح الذي يتولد من المنطق العبثي لكافكا عقيمًا، فرفَضَه مقابل قفزة وجودية. ويرى كامو أن لكافكا دورٌ مهمٌ لأنه يوفر صوتًا بليغًا يتحدث عن الاشتياق الذي نشعر به تجاه الأمل الميتافيزيقي، ويُظهر لنا كيف يقودنا رد الفعل العاطفي تجاه العبثية من الحياة نحو قفزة إيمانية. ويعالج كافكا أفكارًا عالميةً ودينيةً، وهو لهذا السبب ليس كاتبًا عبثيًا، كون الكاتب العبثي يتعامل مع المواقف الحياتية المتعينة. وفي حين يحاول الكاتب العبثي أن يباعد وقائع حياتنا وبين الآمال الخارجة عن هذا العالم ويظهر لنا كيف يمكننا إيجاد السعادة في حياةٍ تخلو من الأمل، فإن كافكا يحاول أن يبين لنا كيف نستطيع إيجاد الأمل الخارج عن هذا العالم في وقائع حياتنا هذه.

# أرشيف مدونة أرض الرمال

تحية لـ بن كريشان

http://www.thelandofsands.blogspot.com





مع وجود كثيرٍ جدًّا من الأديان والمذاهب في عالمٍ يصغر باستمرار في (تواصليته)، يظهر أن الدين مسألة تقليدٍ عائليًّ عمومًا؛ فالصدفة الجغرافيّة: موقع مولد الفرد، وتؤدّي إلى التصاق هذا الفرد بديانةٍ معينةٍ أو مذهبٍ بعينه؛ فهل يُعقَل أن الدين المفروض عند ولادة واحدنا هو «بالضرورة» الحق من منظور الأبدية؟



هل يكون دين واحدنا «تلقائيًا»، الدين الحقيقي الوحيد المقبول عند الإله، لمجرّد كونه مجموعة المعارف الوحيدة التي أُنشئنا عليها؟ لو كان هذا المفهوم المتناقل على مدى آلاف السنين صحيحًا، لأوجب أن يكون معظم الجنس البشري مسكونًا بالشامانيّة البدائيّة أو عبادات الخصب المغرقة في القِدم، على فرض أن ما يصلح كفايةٌ لأسلافي، يصلح كفايةٌ لي.

سوسيولوجيًا، تدخل عناصر كثيرةٌ في نشوء الأديان والمذاهب. من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، تقسيم الأديان سوسيولوجيًا بين زراعيةٍ ورعوية. والطقوس يمكن أن تكون مدخلًا هامًا لفهم آلية تكوّن ديانةٍ بعينها أو مذهبِ بعينه.

هذا يعني أنه من الطبيعي أن يختلف الناس بشدّةٍ في معتقداتهم الدينيّة، بسبب اختلافاتهم البيئوية الجغرافية التاريخية. لكن ما هو غير طبيعيٍّ رفض أو كره شخصٍ بسبب اعتقاده برأيٍ مختل: (هل كان الدين بحقٍ صراطًا مستقيمًا نحو الحق؟).



قتلك غالبيّة الأديان مجموعة معتقداتٍ أو عقائد والتي غالبًا ما تُشكِّل منظومة لاهوتٍ في غاية التعقيد تتجاوز إمكانيّات الفهم عند العلماني العادي؛ مع ذلك، فإن مبدأ العلّة-المعلول قابلٌ للتطبيق على أي من تلك الحالات؛ فتعاليم دينٍ ما لابد أن تؤثر في شخصيّة كل مؤمنٍ وفي سلوكه اليومي؛ وهكذا يكون سلوكٌ مطلقٌ شخّص انعكاسًا بدرجةٍ تعظم أو تقل لخلفيّة هذا الإنسان الدينيّة عادةً.

### تناقض القناعات وتخوم العبث:

الحقائق لا تتناقض. الأرض تدور، وهذه حقيقةٌ لا يناقضها شيء. الماء مكوّن من هيدروجين وأكسجين؛ السمك يتنفس بالغلاصم والإنسان بالرئتين، كلّها حقائقُ علميةٌ غير قابلةٍ للنقض. في الدِين لا نجد غير الأدلة الظنيّة لأوهام حقائق لا أسهل من دحضها. في الحقائق العلمية الموثّقة يلتقي أتباع الأديان والمذاهب جميعًا؛ لكنهم يتفارقون حتى السخرية في أوهام حقائقهم الدينية. فعقيدةٌ هنا تبلغ قدسيتها تخوم الاستلاب، يمكن أن تكون مقاربتها هناك باستخفافِ لا ينقصه





العبث. إذا أخذنا الأديان هنا كمثال، فإن الاعتقاد بالصلب هو أساس الديانة المسيحية؛ في حين أن الإسلام يرفض هذه العقيدة جملةً وتفصيلًا، ويعتبر أتباعها «كفرة».

كذلك فإن ألوهية يسوع، العقيدة المركزية في المسيحية، تنظر إليها اليهودية من زاوية الهرطقة التي قد تستوجب القتل، ويعتبرها الإسلام كفرًا لا مراء فيه.

في الإسلام ذاته، التناقض بين المذاهب غير قابلٍ للتجسير أحيانًا. فعقيدة الإمام الغائب عند الاثني عشريين، تقابل باستهزاء وربا أكثر عند أهل السنة والجماعة. عصمة الصحابة، العقيدة المتداولة بين السنة، لا تعرف غير النقد العنيف عند الاثني عشريين. بل إن مفهوم الإله عند الإسماعيليين مُفارقٌ بالكامل لمفهومه عند السنة والاثني عشريين. بالمقابل، فإن عقيدة «والدة الإله» الموجودة عند الكاثوليك والأرثوذكس، مفتقدةٌ بالكامل عند النساطرة والبروتستانت. وإذا ما انتقلنا إلى اليهودية لوجدنا أن الهوة غير قابلةٍ لأن تُجسّر بين جماعة إعادة البناء والإصلاحيين من جهة، واليهود الأرثوذكس والألترا-أرثوذوكس من جهةٍ أخرى.





إذن، ولأن أدلتنا ظنية، لا سبيل لوصم عقائد الأديان إلا بأنها أوهام حقائق. وبما أن الإنسان ضعيفٌ أمام الموت، لا سبيل أمامه على الإطلاق إلا أن يظل متمسكًا بخيوط أمل الدين العنكبوتية في سبيل المحافظة على أمنه وأمانه الذاتيين.

لا ضير في الأديان على الإطلاق، حتى وإن أُثبت أنها معاديةٌ لروح العلم، وأن تفاسيرها لمعظم ظواهر الحياة أضحت بلا معنًى لأن المعرفة حطمت أسوار الأساطير. الأديان مفيدةٌ ما دامت تمتلك قدرةً «غامضةً» في تهدئة روع الفرد أمام الماوراء المجهول، وما دامت تعمل على ضبط انفلات الرعاع بسوط الإله غير المرئي.

لكن الواقع الذي نلمسه في دول الانحطاط المعرفي، مثل سوريا ومصر وباكستان وأفغانستان، يثبت دون أدنى شكٍ أن الدين صار مؤذيًا؛ والتخلّي عنه أو على الأقل تطوير مفاهيمه بما يناسب حقوق الإنسان وروح العلم قضيّةٌ أخلاقيةٌ ضروريةٌ للغاية.

من منظور حقائق الواقع، الله مفهومٌ وليس حقيقةً قابلةً للإثبات ماديًا؛ لذلك فنظرتنا لهذا الإله تتناقض بحسب حقائقنا المادية الخاصة.

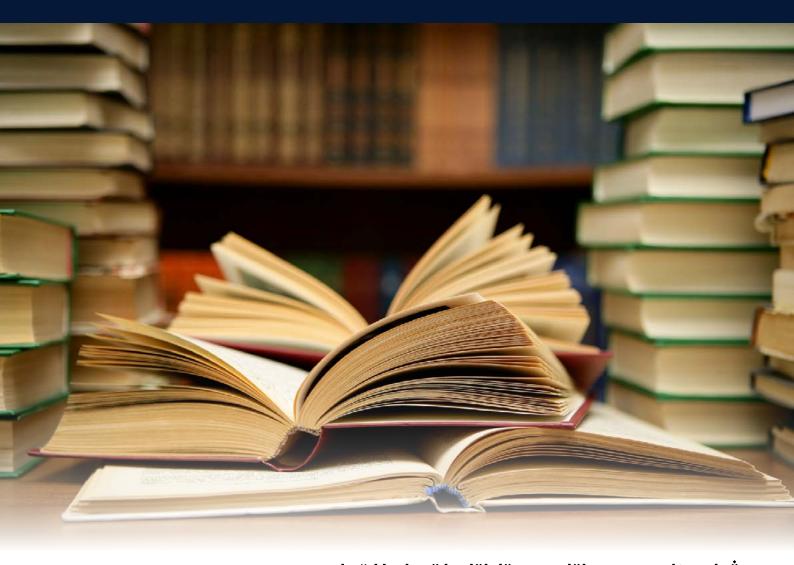
الله مفهوم، والمفاهيم اختراعٌ بشريٌّ أوجده الإنسان لخدمته؛ لكن قلب المعادلة، بمعنى أن يُمتلك الإنسان من قِبل مفهوم اخترعه هو، لا يوحي إلا بخلل سيكولوجي عنيفٍ يمكن أن يرمي بصاحبه على أبواب المصحات النفسية، خاصةً حين يصل الاستلاب إلى مواقف مشينةٍ سلوكيًا حين يعادي مريض الاستلاب أصحاب المفاهيم الأخرى.

أن يُمتلك إنسانٌ من قِبل شيءٍ ملكه حالةٌ مَرضيةٌ بامتياز.

لقد اعتلى الله صهوات جياد مستقبلنا حتى تعِبت: صار عليه أن يترجِّل!!



# مجلة توثيقية علمية إلحادية



شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية



http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine



https://www.aamagazine.blogspot.com



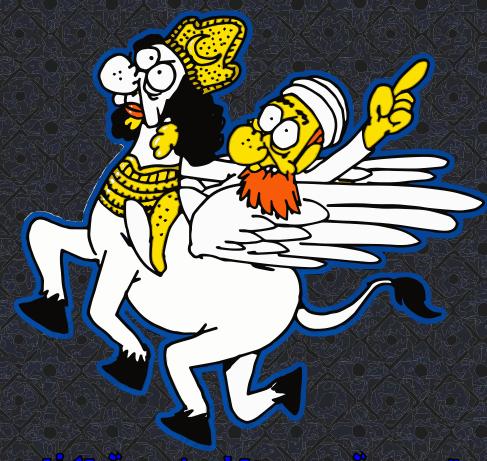
https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299



https://issuu.com/928738



الدالة الناسة: الأسو



CICIANIJOI DE AUSJU LA VIE DE MAHOMET

> ترجمة واخراج: شارة سركسيان فوزي القفاز وأسرة تحرير مجلة الملحدين العرب



في يوم من الأيام، ذهب أبوطالب الذي صار مجوزاً لرؤية حفيره.





خديجة بنت خويلا توظف رجالاً من قبيلتنا للتجارة بمالها، بما يدرّ عليهاالربحالكثير ويعودبالنفةعلى رجالالقبيلة.

> إذا عرضت عليها العمل معها فسوف تقبل بك، وتُفضلك على غيرك لما تعلمه عن استقامتك . وأهانتك.



يحزنني أه أراكة تسافر إلى الشاح، وأخشى أن يؤذيك اليهود، لله لا نملك خياراً آخر.





















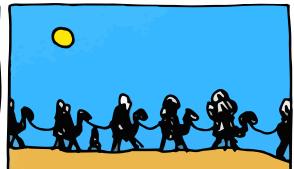












عادت القافلة أدراجها إلى هَلَة، و كَان الجميئة سعداء بنجاح تَجارتهم، وضلام خديجة لا يزال يرى معجزات محمد.

















#### (1). أبو طالب يعرض على محمد العمل عند خديجة:

- «وليس له إلى المرن المرز المرن ال
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب سفره ﷺ إلى الشام ثانيا، الجزء (1)، الصفحة (193).

#### (2). عن خديجة بنت خويلد:

- «كانت خديجة أولًا تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده ع<mark>تيق بن عابد بن</mark> عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي ﷺ فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة».
  - سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، دار الحديث ال<mark>قاهرة، 2006</mark>م، باب خديجة أم المؤمنين، الجزء (3)، الصفحة (408).
- «كانت أم المؤمنين خديجة من أوسط <mark>قريش</mark> نسبًا، وأعظمهم شرفًا وأكثرهم مالًا، وكان رجال <mark>قومها</mark> يحرصون على الزواج منها. وكانت تستأجر الرجال من مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم».
  - السيرة العطرة لأم المؤمنين خديجة: محمد سالم الخضر، مبرة <mark>الآل والأصحاب</mark> الكويت، <mark>20</mark>09م، ا<mark>لصفحة (20</mark>).

### (3). ردة فعل خديجة حول حوار أبي طالب مع محمد:

- «فبلغ خديجة رضي الله تعالى عنها ما كان من محاورة عمه أبي طالب له. فقالت: ما علمت أنه يريد هذا، ثم أرسلت إليه على فقالت: إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك. وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك، ففعل رسول الله على ولقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك. فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك، فخرج على مع غلامها ميسَرة: أي يريد الشام وقالت خديجة لميسَرة: لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا، وجعل عمومته يوصون به أهل العير: أي ومن حين سيره على أظلته الغمامة».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ باب سفره ﷺ إلى الشام ثانيا، الجزء (1)، الصفحة (193).

#### (4). لقاء محمد بالراهب تحت الشجرة:

- «فلما رأى الراهب الغمامة تظله وقع وقال: ما أنتم عليه: أي أي شيء أنتم عليه؟ قال: ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها، فدنا إلى النبي والمن ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال: آمنت بك، وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة، ثم قال: يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها: أي العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة، خلا خصلة واحدة، فأوضح لي عن كتفك، فأوضح له فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ، فأقبل عليه يقبله ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى ابن مريم، فإنه قال: لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمرى الهاشمى العربي المكي، صاحب الحوض والشفاعة، وصاحب لواء الحمد».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب سفره ﷺ إلى الشام ثانيًا، الجزء (1)، الصفحة (194).

### (5). ما قال بحيرى الراهب المسيحي عن العرب:

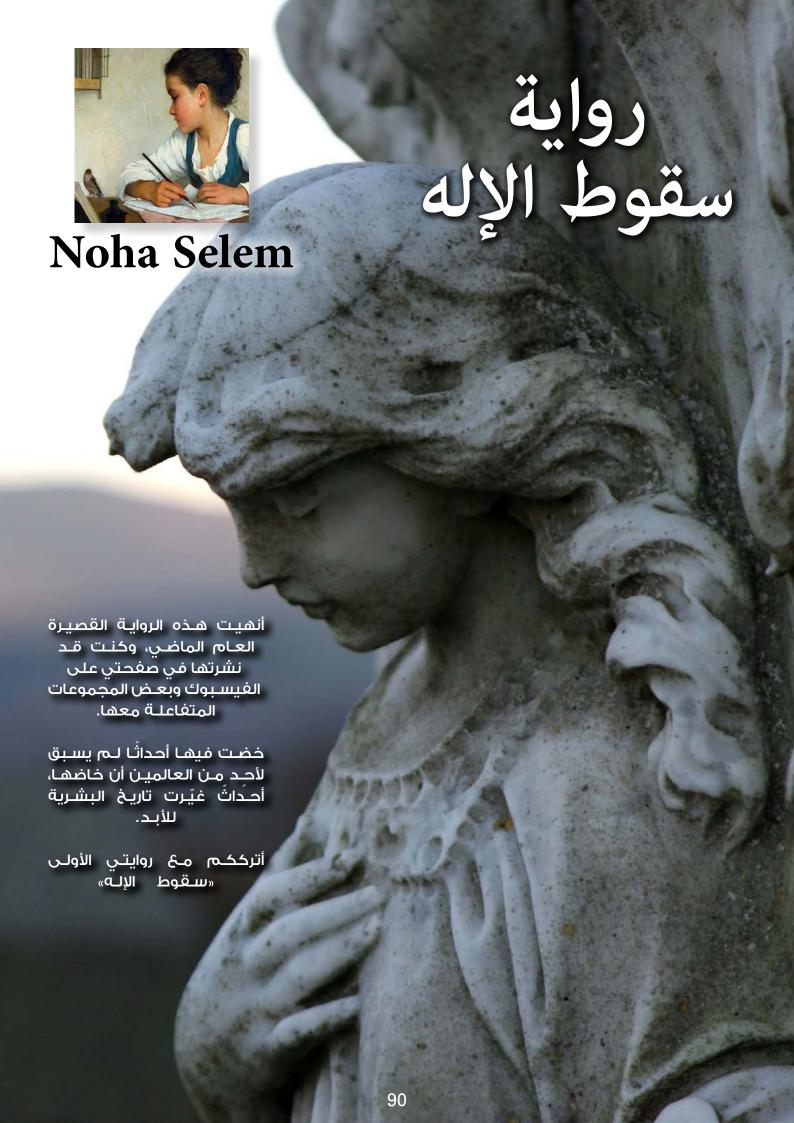
نشر الباحث ريتشارد غوتيل دراسة بعنوان: اسطورة بحيرى المسيحية. تتناول قصة بحيرى الراهب كما وردت في نصوصٍ متأخرة من التراث المسيحي، ويعود أقدم هذه النصوص إلى القرن الثالث عشر.

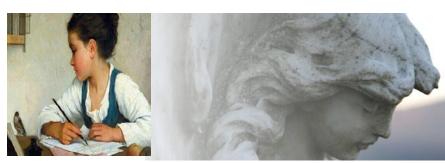
A Christian Bahira legend, Introduction English translation of the Syriac and Arabic texts, by Richard Gottheil Page 123.

#### (6). عند وصولهم مكة:

- «وقبل أن يصلوا إلى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة، وكان رسول الله و أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين، فانطلق يسعى إلى رسول الله و أخبره بذلك، فأقبل رسول الله و إلى البعيرين، فوضع يده على أخفافهما وعوذهما، فانطلقا في أول الركب ولهما رغاء. قال: وفي الشرف أنهم باعوا متاعهم، وربحوا ربحًا ما ربحوا مثله قط. قال ميسرة: يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا ربحًا قط أكثر من هذا الربح على وجهك. ثم انصرف أهل البعير جميعًا راجعين مكة، وكان ميسرة يرى ملكين يظللانه وهي على بعيره إذا كانت الهاجرة واشتد الحر».
- «وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله على في قلب ميسرة، فكان كأنه عبده، فلما كانوا بمرّ الظهران قال ميسرة للنبي على في الله على وجهك، فركب النبي على وتقدم حتى دخل خديجة فتخبرها بالذي جرى، لعلها تزيدك بكرة إلى بكرتيك: أي وفي رواية: تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك، فركب النبي على وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية: أي في غرفة مع نساء، فرأت رسول الله على حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظللان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله على فخبرها بما ربحوا، وهو ضعف ما كانت تربح، فسرت بذلك وقالت: أين ميسرة؟ قال: "خلفته في البادية"، قالت: عجل إليه ليعجل بالإقبال وإنها أرادت أن تعلم أهو الذي رأت أم غيره؟ فركب رسول الله على، وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأولى، فاستيقنت أنه هو. فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام.. وأخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا، وقول الآخر الذي حالفه: أي استحلفه في البيع: أي وقصة البعيرين. وحينئذ أعطت خديجة له على ضعف ما سمته له: أي وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم».
- «ثم إن خديجة ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا: أي بعد أن كان يهوديا على ما يأتي، قد تتبع الكتب، فقال لها: إن كان هذا حقايا خديجة إن محمدا نبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى منتظر هذا زمانه».
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، <mark>لعلي بن إبراهيم بن أ</mark>حمد الحلبي، د<mark>ار ال</mark>كتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1427 هـ، باب سفره ﷺ إلى الشام ثانيًا، الجزء (1)، الصفحة (198+197+198).







Noha Selem

### الثورة

الفصل العاشر (قبل الأخير)



انطلقتُ على رأس مجموعةٍ من مائة ملاكٍ شدادٍ من زبانية جهنّم السابقين نحو الزيتونة المباركة، ولأول مرةٍ لم أحتَجْ إلى القلادة السحرية لتجاوز نقاط التفتيش، فأنا أعلم الآن كلّ المسارات السرية التي توصلني إلى الغرفة الرئيسية مباشرةً دون أن يرانا أحد، وهي مساراتٌ خاصةٌ أعدّها الله بعيدًا عن الأعين، حتى يذهب ويأتي

منها كلّ فترةٍ ليجدّد قواه الإلهية، دون أن يعرف أحدًا أنه فقدها، وما هي إلاّ ساعاتٌ قليلةٌ حتى أصبحنا على أعتاب الغرفة الرئيسية داخل القصر الإلهي، حيث توجد الزيتونة المباركة في آخر الغرفة محاطةً ببوابةٍ خاصةٍ وحراسةٍ مشددة، وجبريلُ جالسٌ في القاعة الرئيسية المؤدية للبوابة مع باقي مجلس الحكم من كبار الملائكة.

نظرتُ بحذرٍ إلى الغرفة، فأحصيت خمسين ملاكًا شديدي البنية يحرسونها في يقظة وانتباه، حسنًا، نحن أكثر عددًا، وهذا رائع، لكن ستبقى المشكلة في زر الطوارئ الموجود في منتصفها، إن استطاع جبريل الوصول إليه، فإنه سينبه الله لحدوث اختراق، وسيرسل لنا جيشًا من الملائكة تقضي علينا في لحظات.

### - آه يا نهى، ما الذي ورّطتِ نفسك به؟

جلست وظهري للحائط وأنا أحاول أن أرتب أفكاري وأستجمع قواي من جديد، حسنًا، أنا أُفضّل الموت هنا على أن أعود للحياة التي كنت فيها، إنّ مصير الكون بين يديّ الآن، ولن أخذله أبدًا، ولو كلفني ذلك حياتي، نظرت مرةً أخرى للائكة الحراسة أتفحصها لأُعِد خطةً سريعةً في رأسي، إنّ هذه الملائكة لن تنتبه لجسدي الضئيل إذا كانت مشغولةً في قتال اثنين من زبانية جنهم الشِداد، فقط أحتاج لبعض الحذر، حتى لا يسحقني أحدهم بطرف سيفه أو حربته الطويلة خلال القتال، وحسمت أمري سريعًا، فوقفت على قدميّ مباشرةً ثم أشرت للزبانية ببدء الهجوم.

انطلقتْ حشود الزبانية في هجوم مفاجيً لتصرخ ملائكة الحراسة بصوت عال: «خيانة، تمرد»، ويشتبك الجيشان في قتالٍ عنيف، وانطلقتُ في نفس اللحظة وسط الحشود، وأنا أتجنّب رمحًا من هنا، ونصلَ سيفٍ من هناك، أتمتم بكلماتٍ



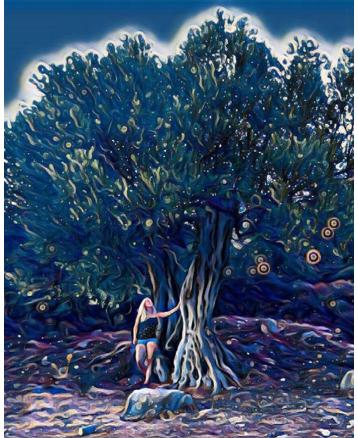
**Noha Selem** 

أعرفها جيدًا، لعزل أية إشاراتٍ أو أصواتٍ صادرةٍ من الغرفة، وعينيّ على جبريل الذي يركض إلى منتصف الغرفة ليضغط على زر الطوارئ.

ووصل جبريل إلى الزر، وكاد أن يضغط عليه، واندفعت نحوه بكلّ قوّة وألقيت نفسي عليه، لتأخذنا قوة الصدمة إلى أطراف الغرفة، تعلّقت برقبته بكلّ ما في داخلي من عزم وإرادة وحياة، ليستسلم لي في لحظات، فلحسن الحظ أن الملائكة كائناتٌ لم تُصمّ للقتال، وهي لا تستطيع أن تقابل العنف بالعنف أبدًا، لم تصمد باقي الملائكة كثيرًا في المعركة، فقوة النار وشدّتها التي خُلق منها زبانية جهنم قضت تمامًا على الحراس في بضع دقائق، وتشاء الأقدار أن تكون النار التي خلقها الله ليعذب بها بني آدم، هي أول أسباب سقوط عرشه، وما أن هدأ الوضع حتى أمرت زبانية جهنم أن يقبضوا على باقي الموجودين في الغرفة، ويعزلوهم في ركنٍ جانبي، واستجمعت أنفاسي أخيرًا وبدأ قلبي ينبض بعنفٍ وأنا أتوجه نحو الباب الذي يفصل بيني وبين الحرية، بيني وبين حلم البشرية منذ بدء الخليقة حتى الآن، ها أنتِ ذا تفعلينها يا نُهى، أخيرًا سينتهي الظلم و تعمّ راية العدل ربوع السماوات والكون، أخيرًا سينتهي الظلم و تعمّ راية العدل ربوع السماوات والكون، أخيرًا سيتونة المباركة المكان، آه وبدأت أقتم بالشفرة التي أحفظها عن ظهر قلب، ليُفتح لي الباب على مصراعيه ويغطي نور الزيتونة المباركة المكان، آه يا للروعة والقداسة، أيُّ طُهِر تراكِ تحملين بين ثناياكِ؟ أيُّ نقاءٍ تُراه يُزهر بين ورودك؟ أي مجدٍ يا تُرى تُبُشِّرُنا به هاماتِك؟ أي نقاءٍ تُراه يُزهر بين ورودك؟ أي مجدٍ يا تُرى تُبُشِّرُنا به هاماتِك؟ أقترب مني أحدُ الغصون، ليلتف حول خصري بِرِفْق، ويحملني إلى أعلى الشجرة وهو يضمني إليها بحنان، بدأت

أتحسّس بيدي كلّ عنقودٍ من عناقيدها، كل غصنٍ من أغصانها، كلّ ورقةٍ من أوراقها، وأنا أسمع صوتَ أنينها، وكأنّها تشتكي لي أوجاع السنين، آهٍ يا جميلتي، كم دنّسوكِ بظلمهم وشرّهم، كم عانيتِ من ماضٍ أسودٍ حزين، كم أوجعوكِ وأنتِ تصرخين بلا مُنْقذٍ ولا مُعين، كم قهروك فلا تملكين إلاّ الأنين، واحتضنتها واحتضنتني، كأننا عاشقتان التقتا بعد آلاف السنين.

ثم حملتي مرةً أخرى إلى جذعها، وامتد نحوي غصنٌ آخر ليقدم لي سيفًا من نور، وكأنها تعرف تمامًا لماذا أتيت، وماذا يجب عليّ أن أفعل، أمسكتُ السيف وانحنيت إلى جذع الشجرة، لأقطع العقد الواصل بين الجذع وباقي الفروع، وساد صمتٌ رهيبٌ في السماوات والكون، فلا يُسمَعُ إلّا صوت حفيف الشجر، ثم بدأت الحياة تدب شيئًا فشيئًا في كلّ شيء، وتتوقف كل الصفات الإلهية غير الأزلية بصورةٍ





**Noha Selem** 

تامة، كانت هذه هي الإشارة التي انتظرها الشيطان، ليقرأ التعويذة التي أعطيته إياها، لتنطفئ النار تمامًا، وأخذت زبانية العذاب تنظر لما في يدها من أسواطٍ و أدوات تعذيبٍ في ذهولٍ تكاد لا تصدق ما تفعله، وبدأت مليارات البشر المحاصرة في جهنم في انتزاع أدوات التعذيب من أيدي الزبانية، وما أن همّت بالهجوم عليها، حتى وجدوا أبواب النار المطلة على الجنة تنفتح على مصراعيها، ليترك كل كائنٍ ما في يديه، ويندفعوا كهديرٍ كاسحٍ نحو الجنة.

واستغل ملاكي الحارس هذه الفوضى فورًا، فانطلق إلى أعلى عليين دون أيّة مقاومةٍ تُذكر، فمحمدٌ وأصحابه ما زالوا مشغولين بنكاح حوريات الجنة، ولا يدرون ما الذي يحدث حولهم، ليقوم ملاكي الحارس بكلِّ سهولةٍ بتعطيل شجرة الجنة، وإعادة الحياة لكل أهلها مرةً أخرى ليندلع الصراخ والعويل في كل مكان، وتنتفض الحوريات وهي تحاول تغطية نفسها بأي شيءٍ حولها وهي تشعر بالخجل والهلع، ورمت الملائكة ما في يديها من أباريق وكؤوس، وأخذ الكلّ يتخبط مع بعضه البعض، لا يدري أحدهم ماذا يفعل، وبدأ الناس يدركون أنهم أحياءٌ مرةً أخرى، فأخذ الأب يبحث عن فلذة كبده والأم عن أبنائها والحبيب يبحث بلهفةٍ وشوقٍ عن محبوبه، وعمّت الفوضى أرجاء السماوات والكون.

كنت لا أزال أمام الزيتونة المباركة، أشاهد كلّ ما يحدث من هناك من خلال شاشات النقل العملاقة الموجودة في الغرفة ثم مددت يدي وأمسكت بأحد الفروع، وبدأت الكلام:

يا أهل السماء والأرض... يا أهل الجنّة والنّار...





#### **Noha Selem**

اليومَ ليس كأي يوم، وغدًا لن يكون مثل أي غد...

اليوم تتحررون من ماضٍ أسودٍ كريه... من ماضٍ ظالم مُظلمٍ وموحش...

لقد خدعكم الله لمليارات السنين، وانتزع منكم حُرّ إُرادتكم وحياتكم وروحكم...

وزرع مكانها الكثير من الشر والألم والظلم والقهر...

أيتها الأم الثكلي، لن تفقدي ابنك بعد اليوم...

أيها الأب المعذب، لن تفارق أسرتك بعد اليوم...

أيها المسكين المعذب في الأبدية في نارِ موحشة لا ترحم... لن تعذب بعد اليوم...

أيها الميت الحي في الجنة، لن تفقد الإحساس بعد اليوم...

اليوم أنتم أحرارًا... اليوم هو يوم ميلادكم من جديد...

اليوم هو يوم الحرية، فاثبتوا أنكم تستحقونها...

ولنكمل هذه الثورة المباركة حتى ننهى حكم الله...

وخرجت بخطواتٍ واثقةٍ من الغرفة لأجد الملائكة جميعًا منحنيين أمامي وتقدّم جبريل نحوي بكل احترامٍ وإجلالٍ ليحاول أحد الزبانية منعه، فأومأت له بأن يتركه...

«هل تسمحين لي جلالتك بالحديث؟»، جبريل متسائلًا وهو يضمّ جناحيه احترامًا وتقديرا لي.

- «بالتأكيد» أجبته.
- «جلالتك، لقد أدركتْ الملائكة فور رفع الغشاوة عن عينيها حجم الشر الذي كانت تعيش فيه، ولأنها كائناتٌ نورانية، فقد أدركت فورًا نُبل ما تحاولين الوصول إليه، فاعتبرينا جندًا من جنودك المخلصين وسننفّذ ما تأمرينا به».
  - «ائتوني به»، أجبته بجديةٍ وعلامات الصرامة باديةٌ على ملامحي.
    - «من؟»، جبريل متسائلًا؟
    - «الله»، ومن غيره سبب لنا كل هذه المعاناة؟ لنكمل هذه الثورة المباركة لآخرها، ولنقطع رأس الأفعى.



#### Noha Selem





انطلقت جموع الملائكة بقيادة جبريل إلى المقر الإلهي لتقتحمه دون مقاومة تذكر، فالله أصبح بلا أيّ تأثير فعلي على مخلوقاته الآن، والفوضى التي ملأت السماوات والجنّة والنّار أفقدته السيطرة التامة على كل شيء، وبدأت الملائكة في البحث عن الله في كل مكان، لكن لم يجدوا له أثرًا!

«ابحثوا جيدا، من المستحيل أن يكون قد خرج من القصر وسط هذه الفوضى»، قالها جبريل بلهجةٍ آمرةٍ للحرس الإلهي.

«لم نجد له أثرًا»، أجاب الحرس وهم في حيرةٍ من أمرهم، وبدأ التوتر يظهر على جبريل، فلا أحد يعلم كيف يمكن أن ينتقم الله إن تمكن من الهرب الآن، وبدأ يرتب أفكاره سريعًا، ثم نادى على كبير الحرس: «اجمع لي كبار الملائكة، سنجتمع في المقر الإلهي الآن»، وخلال نصف ساعة كان الجميع في غرفة العرش مع جبريل يتشاورون حول اختفاء الله الغامض.

وبدأ ميكائيل الحديث: «هل تظنونه يخلق جيشًا آخر الآن؟ أم يُعدّ لنا شيئًا ليفنينا؟ كيف سيكون انتقامه منّا وهو أكيد سيعرف أننا تخلينا عنه؟»،

بدأت الهمهمات في كل مكانِ من القاعة، وبدأ الخوف يتسرب إلى كثيرِ من النفوس،

«أو ربما عاد وحيدًا كما كان قبل خَلقنا»، قالها إسرافيل محاولًا بث بعض الطمأنينة وسط الحضور، لكن لم تمر هذه الكلمات على جبريل مرور الكرام، فقد تذكّر الآن الغرفة السرية الموجودة في قبو القصر حيث كان يجلس الله هناك وحيدًا قبل الخلق، واحتفظ بهذه الغرفة رغم بناءه لقصره الفخم، حتى أنّه أصرّ أن يبنى القصر فوقها، فقد كانت خير



#### **Noha Selem**

ملاذٍ له عندما يصيبه الاكتئاب ويريد أن يخلوا بنفسه بعيدًا عن أعين المتلصصين، وذلك قبل أن يبتكر الشهاب الثاقبة. «تعالوا ورائي»، انطلق جبريل فورًا إلى القبو دون أن ينتظر إجابةً من باقي الحضور، وما أن اقترب من الغرفة قليلًا حتى سمع صوت أنين وبكاء خافت، مشى بخطوات حذرة متتبعًا مصدر الصوت، حتى وصل أخيرًا إلى حفرة مخفيّة بعناية عند أطراف الغرفة، هناك وجد الله جالسًا وحده، وقد انكمش جسده كثيرًا، منطويًا على نفسه خائفًا مذعورًا، نظر الله إلى جبريل وعلامات الجزع باديةٌ على وجهه،

- «ماذا ستفعلون بي؟» الله متسائلًا،
- «لا أعلم جلالتك، فهذا الأمر لم نقرره بعد، أرجوا أن تخرج من الحفرة بهدوءٍ حتى تحافظ على ما تبقى لك من مكانةٍ في قلوب تابعيك» أجابه جبريل.
- «لكنك أقسمت لي على الولاء والطاعة، كيف تخونني وتَتْبَع هذه المتمردة؟»، قالها الله بنبرةٍ تكاد تختنق من الخوف.
- «لم نخنك أبدًا جلالتك، لكنك أنت من خنتنا عندما أخفيت عنّا الكثير وعطلت إدراكنا عما يحدث، ولأنه لا ظُلم بلا نهاية، فاليوم هو نهاية هذا الظلم الذي اقترفته يداك».
  - «لكنى أنا من خلقتكم بيدي، هل أُسأل عما أفعل؟ هل هذا جزائي؟!» أجابه الله مستنكرًا.
- «هذه هي مشكلتك يا الله، تظنّ أنّ لك مطلق الحرية لتفعل ما تشاء بحجة أنّك خلقتنا، لكنّك تناسيت أنّك حين خلقتنا أصبح لنا روحٌ وحياةٌ وأحاسيس، كائنٌ حيٌ مثلك تمامًا، نستحق منك الاحترام والعدل والرحمة، لا الجبروت والقهر والقسوة، فاخرج من مخبأك أرجوك، وواجه مصيرك بشجاعة».

تقدم جبريل نحو الله بهدوء ليضع الأغلال في يديه، ويخرج من الغرفة وأمامه الله مَحْنِي الرأس خانعًا ذليلًا، لتهتف الملائكة بصوت عال جهوري: «فليسقط الله، فليسقط الله، فليسقط الله، فليسقط الطاغية»،

وعقدت المحكمة ورُشّحت أنا لرئاستها، لكني رفضت هذا العرض، وطلبت أن أترافع فقط في بدايتها، وأن أترك رئاسة المحكمة للشيطان وجبريل وملاكي المخلص بصورةٍ مؤقتة، حتى يتم انتخاب الهيئة الموقرة من خلال أهل السماء والكون.

### وبدأت مرافعتي:



Noha Selem

«باسم الحق والعقل، باسم العدل والحرية، غايةُ الكون وبهجته ومبدأه ومنتهاه نبدأ محاكمة الله:

أيها القضاة الأجلاء، أيتها البشرية التي طالما عانت من الظلم والقهر والبلاء، كم وددت لو حكمت على هذا الإله الماثل أمامكم أن يعيش بُؤس كل إنسانِ وحيوانِ على وجه الأرض.

أن يولد كطفل مسكينٍ مصابٍ بالسرطان.أن يكون أُمًا يفتك المرض بأطفالها ولا تستطيع أن تفعل لهم شيئًا، فتموت معهم قهرًا وحزنًا وعجزًا. أن يكون طفلًا خائفًا جائعًا ومشردًا وسط حرب دموية لا ترحم. أن يعيش كنعامة مسكينة جزعة، تأكلها الذئاب بقسوة وضراوة في غابة موحشة لا ترحم. أن تكون امرأة مسبيّة في فجر التاريخ، يَقتل الغُزاة زوجَها وأبيها، ويستعبدونها ثم يبيعون أطفالها. أن يعيش حرمان أبِ شَاهَد البُغاة يقتلون ابنه أمامه. أن يعيش ذليلًا في سجن مدى الحياة من حاكم طاغ يُذيقه مُرّ العذاب. أن يُعذّب في النار التي خلقها بيديه، ويذوق كلّ أصناف العذاب التي تفنّن في ابتداعها. أن يعيش معاناة كلّ محروم ومظلوم، وأن يموت قهرًا وكمدًا ملاين المرات. ان يعيش مكل ما خلقت يداه، وأن يحتفظ بألم كل الحيوات السابقة في كلّ مرة يُبعَث فيها من جديد. أن يتمنى الفناء فلا يجده، وأن يشاهد ظلمه وجبروته ووحشيته بأم عينيه.

لكننا سنفقد نقاء أرواحنا إن فعلنا به ذلك، وسنصير مثله بلا قلبٍ ولا روحٍ ولا حياة، لذلك سنحاكمه ها هنا بالعدل، وسننثر بذور الحب في كل ركنٍ من أركان السماء والكون، فنحن نعلم أن السواد والظلام اللّذين ملأ قلبه لن يتحملهما، فوحده العدل والحب، هو من سيذهب به وبذكراه إلى الفناء، ها هنا انتهى دوري، وها هنا أترك لهيئتكم الموقرة أن تحاكم وتقرر مصير هذا الإله الجائر، وأنا واثقة أن من ذاق مرارة الظلم، لن يحكم إلا بالعدل».

-البداية-

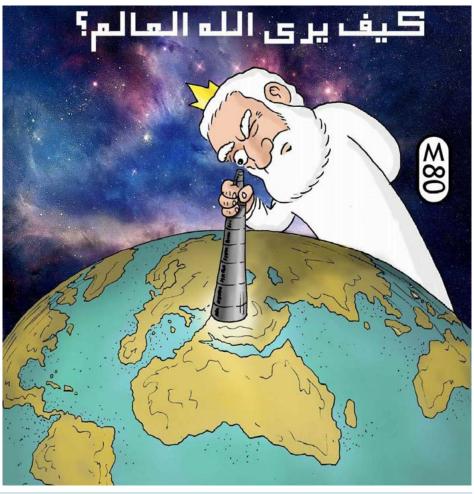
انتهت روايتي عند هذا الحد، وقد اخترت كلمة البداية بدلًا من النهاية، لان هذه هي لحظة البداية الحقيقية للإنسانية، يوم تُحاكم الآلهة، يوم تموت هذه الآلهة، هي بداية عهد الحب والسلام والخير في الأرض والسماء، لذلك أطلب من قرّائي الأعزاء، أن يشكلوا هيئة المحلفين والمحكمة، ولنبدأ معًا محاكمة الإله، فالفصل الأخير من هذه الرواية، ستكتبونه أنتم، والحكم سيكون لكم أنتم، رُفعت الجلسة.

نشرت هذه الرواية لأول مرة يوم: 18 فبراير، 2017.











łussein Hassan

عذرًا هو لا يراقب كل شيء. عمله هو مراقبة المسلم إذا . كان يدخل إلى التواليت برجله اليمنى أم اليسرى



######

مطابقة لرغبة البشر التي خلقت فكرة الله.



Hichem Ben

التليسكوب الإلهي لا يتعدى الشرق الأوسط.



Osama Al Abbas

بعينٍ واحدة ترى العالم وهل ينفع هذا من اللهِ أخلقت الكون كله بكبره وأنت عن باقي الكون ساهِ

